

إشكالية اللغة والهوية في رواية "الخلاص" لعبد الملك مرتاض - مقارنة دلالية

The problematic of language and identity in the novel "Salvation" to Abdelmalek Mortad"
semantic approach

د/ فاطمة الزهرة ناضر

قسم اللغة العربية-جامعة حسيبة بن بوعلي -الشف/الجزائر

البريد الإلكتروني: NADHARFATIMA@GMAIL.COM

تاريخ الإرسال: 2018/08/24

تاريخ القبول: 2020/05/07

تاريخ النشر: 2020/06/17

الملخص:

يعدّ موضوع اللغة والهوية من بين المواضيع الشائكة، والمعقدة في الخطاب الروائي الجزائري، وهذا نظرًا لمدى تداخلهما وتعلق أحدهما بالآخر، فتعددت الرؤى، وتفاوتت بتعدد الروائيين والأدباء، إذ حاول الكثير منهم تسليط الضوء على حقيقتهم، ومدى أهميتهما في تكوين الفرد والمجتمع ومن بين هؤلاء الروائيين، الروائي عبد الملك مرتاض الذي أولى عناية خاصة بهما في معظم أعماله، ولعلّ روايته الأخيرة "ثلاثية الجزائر" أكبر دليل على ذلك. الكلمات المفتاحية: الخطاب؛ الرواية؛ الدلالة؛ اللغة؛ الهوية؛ المكان؛ ثلاثية الجزائر.

Abstract:

The subject of language and identity is one of the thorniest and most complex topics in the Algerian novelist discourse. This is because of the extent of their overlap and their interaction with each other. The visions have multiplied and varied with novelists and writers. Many of them tried to shed light on their truth, their importance in the composition of the individual and the society. Among these novelists, the novelist Abdelmalek Mortada, who paid particular attention to most of his works.

Key- words :Speech; narrative; language; identity; place; trio of Algeria.

توطئة:

يعتبر عبد الملك مرتاض من بين الروائيين الجزائريين الذين اهتموا بالكتابة الروائية، وعملوا على إرساء دعائمها، وهيكلتها بنيتها وفق رؤية فنية معاصرة، إذ تعد "ثلاثية الجزائر" من أنضج رواياته وأحسنها نظرًا للغتها الفريدة، وملحميتها، باعتبارها رواية انسيابية تضم ثلاث روايات: "الملحمة"، "الطوفان"، "الخلاص".

وقد ركز عبد الملك مرتاض في روايته الأخيرة "الخلاص" على قضية جد هامة، ألا وهي قضية اللغة والهوية، وتعامل معها برؤية فلسفية عميقة عن طريق استخدام آلية فن القص الذي استلتمت زمامه الرواية "الأمّ زينب"، كتقنية تترجم الصراع القائم بين أنا الذات المتزعزعة المتمثلة في فتيان مدينة الأبطال السمراء، والآخر المتمثل في الاستعمار الفرنسي، حيث تبحث هذه الذات عن كينونتها وهويتها المفقودة ولا تجد ضالتها إلا عبر بنية السرد.

لذا سنحاول من خلال هذه الدراسة الولوج إلى العوالم السردية لرواية "الخلاص" واستنطاق بُناها الدلالية وذلك بطرح الإشكاليات التالية:

- إلى أي مدى يمكن استثمار مقومات الذات الوطنية في رواية "الخلاص"؟

- وكيف هي تجليات اللغة والهوية ودلالاتها عبر بنية السرد؟

فضلاً عن الطبيعة المعرفية لخطاب هذه الإشكالية، آثرنا أن نعتمد في هذا البحث مقاربةً دلاليةً تسترشد بفواعل السيميائية السردية طوراً، وبالإجراء النقدي؛ النسقي والسياقي، أطواراً أخرى، بغية الكشف عن الآلية التي وظفت بها تيمة كل من اللغة والهوية داخل بنية الرواية.

1- الدلالة لغة ومفهوماً (اصطلاحاً):

1-1- لغة:

لقد وردت صيغة دلّ في المعاجم العربية بمختلف مشتقاتها، تمثل المرجعية الأولى للفظ دلالة في إطار الصورة المعجمية، تحاكي ما رسمه القرآن الكريم من معنى، مقتبسة منه حقيقة اللفظ وجوهره مع تحديد ماهيته اللغوية، إذ جاء في لسان العرب لابن منظور أن "الدليل ما يستدلّ به، والدليل: الدال وقد دلّه على الطريق يدلّه بدلالة ودلالة ودلولة، و الفتح أعلى: وأنشد أبو عبيد:

إنّي امرء بالطرق ذو دلالات (...) قال سبويه: والدليل علمه بالدلالة ورسومه فيها، وفي حديث علي رضي الله عنه في صفة الصحابة رضي الله عنهم: ويخرجون من عنده أدلة، يعني يخرجون فقهاء، فجعلهم أنفسهم أدلة مبالغة"¹، إذ استطاع ابن منظور من خلال هذا التعريف تحديد المعنى الحقيقي للفظ دلّ عن طريق حصره في دلالة الإرشاد والهدي، حيث جاء تصوره المعجمي للدلالة مطابقاً لما ورد في القرآن الكريم.

كما نجد أنّ الدراسات المعجمية استطاعت تحديد الحمولة اللغوية للفظ دلّ، وحصرها في معنى الهدي والإرشاد والتسديد والإعلام، وذلك عن طريق توضيح بُعدها المعجمي وفق وصف فحوى الكلمات وتعداد اشتقاقاتها دون الغوص في بعدها الاصطلاحي، وذلك لأنّ العمل المعجمي لا يفي بالغرض في نقل دلالة اللفظ الذي تشعب به الخطاب اللغوي الحديث.²

1-2- اصطلاحاً:

عرف مصطلح "الدلالة" عند اللغويين العرب مجموعة من التعريفات نذكر منها تعريف السيد الجرجاني³ بقوله: "الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص، وإشارة النص ودلالة النص، و اقتضاء النص"⁴.

من هذا المنطق يتبين لنا أن تعريف الجرجاني للدلالة مستمد من الثقافة الأصولية، حيث يتمّ التوصل إليها عن طريق معرفة الشيء، و المتمثل في الدال الذي به تحصل المعرفة والعلم بشيء آخر هو المدلول الذي تنتج عنها العملية الدلالية وفق قسمين من الدلالة هما:

• الدلالة اللفظية: إذا كان الشيء الدال لفظاً.

• الدلالة غير اللفظية: إذا كان الدال غير لفظ.

كما أنّه وظف لفظة الشيء بدل اللفظ، لأنّ معناها يفتح على البعد الرمزيّ الذي يهتمّ بالعلامات اللغوية وغير اللغوية، مشيراً بذلك إلى أربعة مستويات صورية تتشكل وفقها الدلالات وهي: دلالة النص دلالة الإشارة، دلالة الاقتضاء، دلالة العبارة⁵، وكلّ هذه الدلالات تصبّ في قسم الدلالات الإيحائية لأنّ الدلالة عنده تتمثل في وجهة صرف الدال إلى مدلوله لوجود صلة مباشرة بينهما⁶.

أما الراغب الأصفهاني⁷ فيعرف مصطلح الدلالة بقوله: «الدلالة ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات، والرموز والكتابة، والعقود في الحساب وسواء كان ذلك لقصد ممن يجعله دلالة، أو لم يكن يقصد كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنّه حيّ»⁷

من هذا المنظور يتبين أنّ الدلالة عند الراغب الأصفهاني مرتبطة بدراسة كلّ ما يدلّ على شيء ويتوصل به إلى معنى سواء كان لفظاً أو إشارة، أو كتابةً أو عقداً، سواء أكان فيه قصد أو بدون قصد إذ نحن إزاء علم يهتمّ بدراسة المعنى الذي يتحقق عن طريق الرموز اللفظية والإشارية والكتابية والعقدية والعلامية وغيرها.... موسعاً بذلك من دائرة استخدام المصطلح، ليشمل الدلالة اللغوية والدلالة غير اللغوية. بناء على ما سبق نستخلص أنّ العلماء العرب اهتموا بالدلالة واستطاعوا بلورة حملتها المفهومية في كتاباتهم، وقد كان لهذه الدراسات الدور الكبير في بناء وهيكلة الدرس الدلاليّ الحديث، حيث اعتمد اللغويون المحدثون عليها وأسسوا نظرياتهم وفقها، باعتبار أنّ مصطلح الدلالة «علم يدرس كلّ ما أعطى معنى، أو علم دراسة المعنى الذي يتحقق من الرموز الصوتية واللفظية والكتابية، والإشارية، والجسدية وغيرها من رموز المعاني»⁸ وبالتالي اعتمد هذا العلم على دراسة المعنى الذي يتحقق عن طريق الرموز اللغوية بالدرجة الأولى ثمّ الرموز غير اللغوية التي تشارك في إنتاج الدلالة لذا صار «المعنى في تحليله بؤرة تجمع إليها عناصر متنوعة ومتعددة وصوتية وصوتية، تركيبية ونحوية، جمليّة ونصيّة، سياقية وغير سياقية بالإضافة إلى مقاصد المتكلم»⁹ التي تؤدي دلالة الإبلاغ في التواصل الإنسانيّ.

كما نجد في التراث الغربيّ أنّ "الدلالة" كلمة اصطلاحية اشتقت من أصل يونانيّ مؤنث Sémantiké مذكّره Semantikos الذي يعني: يدلّ، ومصدره كلمة Séma أي إشارة، وقد نقلت كتب اللغة هذا الاصطلاح إلى الإنكليزية، وحظي بإجماع جعله متداولاً بغير لبس Semantics، أما في الفرنسية عرف باسم La semantique¹⁰.

والجدير بالذكر أنّ "علم الدلالة" عند العرب ارتبط باللغة، والفقه، والمنطق، والبيان، والبلاغة عكس الغربيين الذين ارتبط "علم الدلالة" عندهم في إطار الثقافة الغربية قديماً بعلوم البلاغة، ولم ينفصل عنها إلّا بعد مجيء العالم اللغويّ ميشيل بريال (MICHEL BREAL) الذي أعطى لهذا العلم الاستقلال وفصله عنها

بقوله: «إنّ الدراسة التي ندعو إليها القارئ هي نوع حديث للغاية بحيث لم تسم بعد، نعم لقد اهتمّ معظم اللسانيين بجسم وشكل الكلمات، وما انتبهوا قط إلى القوانين التي تنتظم تغير المعاني، وانتقاء العبارات الجديدة والوقوف على تاريخ ميلادها ووفاتها، وبما أنّ هذه الدراسة تستحق اسمًا خاصًا بها، فإننا نطلق عليها اسم "سيمانتيك" للدلالة على علم المعاني»¹¹.

وقد استطاع بريال من خلال هذا التعريف إحداث نقلة نوعيّة في مجال البحث الدلالي إذ نجده عمل على:

1- تحديد المعاني عن طريق الاهتمام بجوهر الكلمات ومضامينها عبر تتبعها في مسارها التاريخي بتطبيق المنهج التطوري التأسيلي.

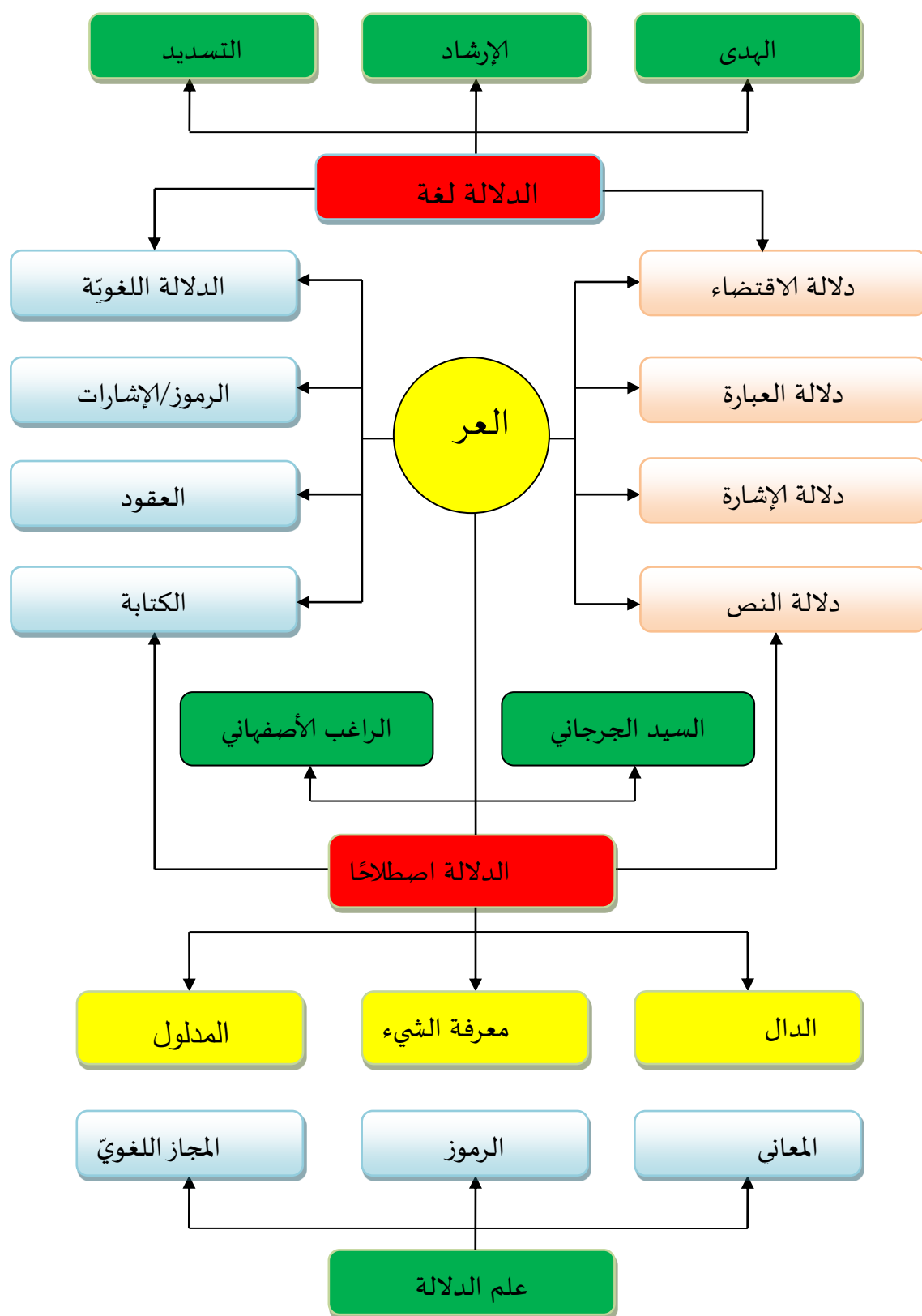
2- الوقوف على القوانين الكامنة وراء تنظيم تغير المعاني، وتطورها، والقواعد التي تسيرونها في اللغة.

كما أشار في كتابه "مبحث في علم الدلالة" "ESSAIS DE SEMANTIQUE" إلى ماهية علم الدلالة محدثًا بذلك ثورة في الدرس الدلالي، الذي تواصلت مباحثه، وتعددت مذاهبه ومدارسه في ضوء الدراسات الحديثة.¹²

تأسيسًا على ما سبق يتضح أنّ علم الدلالة مصطلح ديناميّ يتميز بالصبغة العلميّة في ضوء الدراسات اللسانية الحديثة، موضوعه دراسة المعنى، فهو «علم يدرس اللغة من حيث أنّها كلمات تدلّ على معاني، كما أنّه يدرس العلاقة بين الرمز اللغويّ ومعناه، ويدرس كذلك تطور معاني الكلمات تاريخيًا، ويدرس أيضًا المعاني والمجاز اللغويّ، والعلاقات بين الكلمات في اللغة»¹³.

وقد عدّ اللغويون المحدثون "علم الدلالة" فرعًا من علم اللغة، الذي يتناول "دراسة المعنى، أو العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرًا على حمل المعنى (...) موضوع علم الدلالة أيّ شيء، أو كلّ شيء يقوم بدور العلامة أو الرمز، هذه العلامات أو الرموز قد تكون علامات على الطريق وقد تكون إشارة باليد أو إيماء بالرأس، كما تكون كلمات وجمالاً"¹⁴.

من هذا المنظور يتبين أنّ علم الدلالة علم يهتم بدراسة المعنى والرموز من الناحيتين: اللغويّة وغير اللغويّة، حيث تكون هذه الرموز أو العلامات رموزًا غير لغويّة تحمل معنى كالإشارة باليد أو إيماء بالرأس، وإشارات المرور وغيرها، كما قد تكون علامات أو رموزًا لغويّة: كالكلمات، والمفردات، والجمل عن طريق الاستعانة باللغة باعتبارها اللبنة الأساسيّة التي تزود الإنسان بالرموز والعلامات ليعبر بها عما يدور في نفسه.



خطاظة مفهوم الدلالة لغة واصطلاحًا

2- ملخص رواية "الخلاص":

يستهلّ عبد الملك مرتاض روايته "الخلاص" بقدوم فتیان مدينة الأبطال السمراء إلى شجرة الدهماء في سفح أحد جبال الأوراس الشّماء من أجل عقد مجالس ليلية لهم للسّمر، وذلك عن طريق تبادل أطراف الحديث والأفكار، ومناقشة الشؤون التاريخية المختلفة فيما بينهم، وقصّ الحكايات الخرافية والواقعية ومناشدة الأشعار على بعضهم البعض، رغم اختلاف دراساتهم واختصاصاتهم ومستواهم الثقافيّ.

وقد كان بين هؤلاء الفتية، فتیان متميزان هما: يعقوب الباريسي: الشاب المتأثر بالثقافة الغربيّة والمهرج الظريف: الفتى الأصيل المحب لثقافته العربيّة، حيث يعمل كلّ واحد منهما على سرد مجموعة من القصص المرتبطة بمغامراتهما العاطفيّة على مسامع الفتية، بداية بـيعقوب الباريسيّ الذي سرد قصته الغراميّة مع الفتاة الباريسيّة "ريجین" أيام الدراسة الجامعيّة، وذلك بإبراز مدى محبته واشتياقه لها، وهذا نظراً لسحر جمالها ورهافة حسّها، وتعلقها ببطلات الثورة الجزائريّة وإعجابها ببطلتهن، ومحبتهما لهن رغم أنّها فرنسيّة، مبدئياً بذلك مدى إعجابه بها وبثقافتها الغربيّة، وتجادله مع أصدقائه حول فضل الكيان الغريب الدار (فرنسا) على وطنه، وعدم تقبل الفتیان لرأيه، ثمّ بعد ذلك يتدخل رضوان الأمين (المهرج الظريف) ويقصّ عليهم مغامراته العاطفيّة مع الفتاة المشرقيّة "سحر" أيام دراسته الجامعيّة، وذلك بعد إدعائه مصاحبة شيطان الإبداع له، بداية بالتقائه بسحر وإعجابه بها، ثمّ تعلقه بها، ومحبته لها، وفي الأخير يتأسف على خسرتها بعد مغادرتها البلاد، وعودتها إلى وطنها.

ولخلق نوع من العجائبيّة والغرائبيّة وظف عبد الملك مرتاض كلّ من شخصيتي "الشيخ الضير" والراوية "الأم زينب" وأقحمهما مجلس السمر، فبعد تعرف الفتیان على شخصية الشيخ الضير وإعجابهم به، جعلوه حكماً بينهم وقاضياً للفصل في قضية المحاكمة الرمزيّة للكيان الغريب الدار المقترحة من طرفه، والقيام بتنفيذها، والحكم على الكيان الغريب الدار بالاعتذار لشعب المحروسة عن مجازره المرتكبة في حقهم.

ثمّ بعد ذلك تحضر شخصية الراوية "الأمّ زينب" وترتبع الحلقة وتسيطر على زمام القصّ بعد أن سرد على مسامع الفتية من خلال الصوت النسويّ قصة "الجاسوس" الذي اندسّ بين جماعة "مصطفى بن بولعيد" أيام التخطيط لتفجير الثورة التحريريّة.

وبذلك تتوالد الحكايات، وتستهل الراوية "الأمّ زينب" حكماً بسرد قصة "الحسناء" ثمّ قصة "البطل مصطفى بن بولعيد"، وتسلط الضوء على بعض المراحل من حياته الشخصية، وتستهل سردها بالتعرض إلى مرحلة طفولته ومحنة فقدان والده بتحمل تكاليف الإنفاق على أسرته، ثمّ بعد ذلك تتطرق إلى معاناته في أرض المهجر، لتبيان مدى نضج بعده الفكري الثوريّ المتعلق بتفجير نار الثورة، وبتدفق السرد إلى الأمام تتجلى بطولة وشجاعة بن بولعيد عبر بنية الرواية، ودوره الفعال في إشعال نار الثورة، وذلك عن طريق مساهمته الفعالة في تغطية تكاليفها من سلاح وغيره، ثمّ يتمّ التطرق إلى حادثة استشهاد بعد توضيح سبب فراره من السجن وأسرّه، لينتهي بذلك توالد الحكايات على لسان الراوية الأمّ زينب وينغلق زمن القصّ، بعد مغادرتها حلقة السمر وانتظار الفتية قدومها لكن دون جدوى، وبالتالي انفضاضهم من

المجلس وفقدان الأمل في قدومها، وتقرير كل من المهرج الطريف ويعقوب الباريسي الزواج، ودعوة المهرج الطريف أصدقاءه إلى حفل زفافه.

3- تعريف الهوية:

مصطلح الهوية مصطلح شائك يتضمن معان متعددة، إنه مشتق من أصل لاتيني يُفيد أن الشيء هو نفسه، وليس شيئاً آخر، وبعبارة أخرى أن الموجود هو ذاته أو هو ما هو عليه، أي ماهيته¹⁵.

فهي تعني الحقيقة، والذات، والماهية، إنها "الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب أي تلك الصفة والثابتة والذات التي لا تتبدل ولا تتأثر ولا تسمح لغيرها من الهويات أن تصبح مكانها، وتكون نقيضاً لها فالهوية تبقى قائمة ما دامت الذات قائمة وعلى قيد الحياة، وهذه الميزات هي التي تميز الأمم عن بعضها البعض والتي تُعبر عن شخصيتها وحضارتها ووجودها"¹⁶، فهي تُشير إلى ثوابت الشيء ومبادئه وميزاته التي يتفرد بها كل شخص عن غيره، وتجعله متميزاً بذاته، إنها "الشفرة التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها، والتي عن طريق يتعرف عليه الآخرون باعتباره منتبهاً لتلك الجماعة"¹⁷، لأن الإنسان ذات متفردة عن الآخرين، تكتشف وجودها عبر علاقتها بالجماعة التي تنتمي إليها.

3-1- دالات الأمكنة وهويتها :

يعدّ المكان من أهم المكونات التي تشكل بنية الخطاب السردية فهو "ملعب الأحداث و الشخصيات الروائية، وكلّما أجيد بناؤه، وتجهيزه، استطاعت الشخصيات أن تؤدي دورها بشكل أفضل، وتبرز مهارتها بشكل أكمل"¹⁸، وبدون مكان لن يكتمل بناء الشخصيات والزمن، ولن تتطور أحداث القص على طول خط السرد، وكلّما أتقن رسم المكان وهندسته تخيلياً، زاد من انسجام عناصر القصة أو الرواية فيما بينها وتواشجها مع بعضها البعض ليصبح بذلك "شبكة من العلاقات، والرؤى التي تتضافر مع بعضها لتشييد الفضاء الروائي الذي ستجري فيه الأحداث"¹⁹.

وبالتالي فإنّ المكان يتحدد عن طريق المادة السردية، وتلاحق الأحداث والحوافز، والشخصيات، ويبنى على "أساس من التخيل المحض، ولكنّه لا يكتسب ملامحه وأهميته بل وديمومته إذا لم يتمثل بدرجة أو بأخرى مع العالم الحقيقي خارج النص، فالمكان يوصل الإحساس بمغزى الحياة ويضعف التأكيد على تواصلها وامتدادها"²⁰، متحولاً بذلك إلى مكون جوهري في العمل الروائي، ملاسماً الواقع، متقاطعاً مع منظور الحياة ومغزاها، مبتدعاً جسراً من التواصل والتفاعل بين المبدع والقارئ.

لذا نجد عبد الملك مرتاض أولى عناية كبيرة للمكان وجعله "الحاضنة الاستيعابية، والإطار العام الذي تتحرك فيه الشخصيات وتتفاعل معه"²¹ بصورة إيجابية، وتتداخل فيه الذات مع الجماعة، وتتشابك وتنبتق منه لحظة الاستئناس والألفة لخلق العالم الأسطوري.

3-1-1- شجرة الدهماء: الانتماء/الأصالة:

يستحضر عبد الملك مرتاض شجرة الدهماء في رواية "الخلاص" كبؤرة مركزية لانطلاق السرد والانتقال من عالم الواقع إلى عالم المتخيل السردية، لـ"خلق حالة من التماهي و الاندماج الفضائي"²²

وتجسيد الجوا أسطوريّ و العالم الملحميّ، إذ" تعود فتیان مدينة الأبطال السمرء على أن يعقدوا لهم ليلية للسمر و الانتداء، تحت الشجرة العظيمة الدهماء، في سفح أحد جبال الأوراس السماء في ليالي الصيف الرطبية القمرء²³.

كما نجده جعل منها معلماً تاريخياً متصلاً بشخص "مصطفى بن بولعيد"، ومجلدًا ثقافيًا للسمر ينفّث فضاؤها على التاريخ، وبتدفق السرد إلى الأمام تتوسع دائرته عبر عالم الحكّي للكشف عن هوية المكان وأصالته وذلك عن طريق الانتقال عبر صفحات التاريخ الجزائري، وتسليط الضوء على أحداث الثورة التحريرية بغية إبراز الدور الفعال الذي لعبته شخصية "مصطفى بن بولعيد" في إشعال فتيلها حيث تسترجع الراوية "الأمّ زينب" أحداثها وتقصّ للفتية ملحمة بطولية في عشق الوطن، التي لولاها لما تخلصت "الجزائر" من براثن الاستعمار، ونالت الحرية في حقبة شهدت تضحيات كبيرة.

الأمر الذي جعل منها معطى مكانيّ محوريّ، في مستوى وعيّ فتیان مدينة "الأبطال السمرء" يختزل حكاية الوطن، في مستواه السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، وذلك عن طريق الولوج إلى عمق تاريخ الثورة، وتسليط الضوء على بطولات الآباء وتضحياتهم، والتعالي بتيمة الوطن عبر بنية السرد لترسيخ مقومات الهوية، والوطنية، والانتماء لدى المتلقي، وإبراز الصراع الأيديولوجي بين الشرق والغرب وذلك بطرح إشكالية الهوية، وملامسة عمق المشكلة، بعد التأسيس لأطروحة تحفظ الوطن، وتصونه وتضمن بناءه وتطوره، في خضم الهجمات المسعورة التي تحاك ضده.

وهذا وفق ترتيب نظام القيم المتصلة به، وبنياته الفكرية والثقافية والحضارية والعقائدية، والعمل على تعديل سلوكيات الشخصيات، وتغيير نظرتهم الاندماجية المنسحقة بقلب الأوضاع وإلباسها الروح الوطنية، بوصفها وسيلة للتخلص من التبعية السياسية والأيديولوجية والثقافية، وبذلك يكتسب المكان/الوطن استمراريته وديمومته.

لذا نجد عبد الملك مرتاض جعل منها شجرة أسطورية عجائبية، وأصل لها عن طريق منحها سمة الأزلية المكتسبة من عالم الجان الذي كان له الفضل في «اغتراس تلك الشجرة الدهماء، مذ الدهور الغابرة ولم يكن لها مثيل يحكمها من كلّ الأشجار على وجه الغبراء. ولذلك كانت الجنّ تستظل بظلها نهارًا، وتعبث بأنواع من اللهو تحتها ليلًا (...). كان الجانّ يسهرون تحتها، ومن حولها، حين يتكاثرون عددهم، فكانوا يرقصون ويغنون ويلهون ويعبثون ويستمتعون ويرعونون في الليالي الدّاءة²⁴. ولم يغادروها إلّا بعد أن ضاقت عليهم السبل وكثر عثوبني البشر، وفسادهم بالقرب منهم.

وبذلك ينفّث فضاؤها على اللهو والفجور، والعبث، ويصبح فضاء مشوبًا بالأفعال المجونية من اختلاط وغناء ورقص، وفسق، خال من الأخلاق والقيم المثلى، يتماشى مع هويتهم وانتمائهم اللامرئي، محاط بهالة من الغرائبية والغموض والعجائبية إذ" كانت تلك الشجرة تبدو أزلية الوجود عجيبة التكوين، عجائبية المرأى²⁵ تنتمي إلى جبل قاف العجائبيّ عمرها يُوغل في القدم، وكان بجوارها " قبر مجهول قديم قريب مديد مجاور لها²⁶ يعتقد الرواة بأنّه قبر آدم عليه السلام " وروى الأخباريون الشعبيون أنّ آدم عليه السلام حين فشا الشرّ بين أبنائه و تفرقوا شذر مذر، دفع نحو الشجرة الدهماء، فانقطع فيها للعبادة إلى أن وافته

منيته"²⁷، وبالتالي تتعمق رؤيا عبد الملك مرتاض أكثر، وتُصبح شجرة الدهماء رمزًا مقدسًا للتصوف تدلّ على الخلود والحياة الأبدية والتجديد، تجسد التقوى والورع، فضاؤها مثالي للخلوة والتعبّد والتسكّع والأصالة يتجلى عبرها البعد العقائدي والديني .

بناءً على ما سبق نستخلص أنّ عبد الملك مرتاض استطاع من خلال هذه البؤرة المكانية الخضراء التأسيس لهوية المكان، وإعطائها البعد التاريخي والحضاري، وربطها بشخصية مصطفى بن بولعيد لتجسيد الفكر القومي، وبالتالي تُصبح هذه الشجرة بطاقة هوية لمدينة باتنة في جبال الأوراس، ونبراساً للثقافة تتجسد عبر فضاءها العجائبيّ الأصالة والهوية والانتماء، والوطن في مستواه السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي...

3-1-2- شجرة الدهماء: التاريخ /المحاكمة الأخلاقية:

تمتدّ أصالة شجرة الدهماء عبر خطيّة السرد وتحتوي التاريخ ، وتُصبح هذه شجرة محكمة صوريّة تحاكم المستعمر الفرنسي محاكمة رمزية أخلاقية، حيث يتمّ تسليم رئاسة الجلسة القضائية للشيخ الضير " تنحّ الشيخ الضير، وتحفّز ثمّ خاطب الفتية في صوت رزين عميق كأنّه صادر من أعماق الثرى...ما رأيكم يا أولاد في أن نتحاور، بعض المحاور، عن الكيان الغريب الدار الذي احتلّ أرض آبائكم الأكرمين، فنحاول محاكمته ولو في صورة حكم رمزي أخلاقي، بيننا، فقد تقاعس آبائكم عن محاكمته قضائياً في المحاكم الدوليّة المختصة"²⁸.

فيما يتولى جبور الإدعاء، أما يعقوب الباريسيّ فيؤكل إليه الدفاع عن الكيان الغريب الدار (فرنسا) في حين يمثل كلّ من أحمد وعبد القادر وخالد أعضاء هيئة المحكمة، فبمجرد إعلان الشيخ الضير فتح جلسة المحاكمة، حتى يسارع جبور إلى تقديم الاتهام ورفع القضية في صورة شكوى ضد الكيان الغريب الدار، وطرح مجموعة من الأدلة والبراهين التي تدين الاحتلال الفرنسي، وتظهر بشاعة مجازره المرتكبة في حق الشعب الجزائري، وتبرز مدى ظلمه وهمجيته ووحشيته "سيدي الرئيس! إنّ آبائي وأجدادي، وأمّهاتي وجداتي، أي كلّ سكان المحروسة المحميّة البيضاء من لدن شهر يوليوز سنة ثلاثين وثمان مئة وألف للميلاد إلى خامس يوليوز من سنة اثنتين وثلاثين وتسع مئة وألف، أي طوال مئة واثنين وثلاثين حولاً كريئاً: عانوا الظلم عناءً شديداً، وتجرعوا نغب الذلّ أنفاساً. لقد أهينوا بتمريغ أنوفهم في الرغام، وتدّيس كرامتهم بالاستخفاف والاستهتار. فُتنوا في عقيدتهم الدينيّة... ولقد استبيحت حرمتهم أمامهم... شُردوا من ديارهم بأن أُخرجوا منها كرهًا. اغتصبت منهم أراضيمهم... كما اغتصبت أمهاتنا، وبناتنا وأخواتنا أفطع اغتصاب..."²⁹.

ولإسقاط هذه الاتهامات وقف يعقوب الباريسي معترضاً، ورأى أنّ هذه الاتهامات باطلة في حق موكله الكائن الغريب الدار (فرنسا) الذي جاء من أجل ترقية وطنه وليس لتدميره، فهو في نظره صانع الحضارة والرقى .

لذا ادّعى أنّ " الإدعاء لا يزال يتهم الكيان الطيب الذكر بالتهمة الباطلة وبأنّه قتل وعذب، وهدم ودمر والحال أنّ المدعي نفسه ليس له من السن إلاّ زهاء خمسة وثلاثين عاماً أو أدنى من ذلك عمراً؛ فهل كان حاضراً فيشهد، اليوم، على المدعى عليه بما شهد زوراً، وهو الذي امتدّ وجوده قرناً واثنين حولاً

كريتا؟ إني أطالب بالتحقيق في هذه الدعوى التي أراها باطلة"³⁰. إلا أن اعتراضه باء بالفشل نظرا لضعف الأدلة و البراهين براءة موكله من التهم الموجهة ضده، لتنتهي المحاكمة في الأخير بإدانة المستدمر الفرنسي والحكم عليه بتعويض المحروسة والاعتذار منها "أرى أن الكيان الغريب الدار ارتكب في المحروسة المحمية البيضاء جرائم على غاية من الفظاعة في حق الإنسانية، ولذلك أرى بأنه يدان على جرائمه، ويجب عليه أن يعرض المحروسة المحمية البيضاء على ما استباح من حرمت، وما استلب من أراض لملاكها...بالإضافة إلى تقديم الاعتذار، رسميًا إلى شعب المحروسة المحمية البيضاء."³¹.

من هذا المنطلق يتبين لنا أنّ عبد الملك مرتاض استطاع من خلال هذه المحاكمة تخطي حدود المكان الأسطوريّ، والانتقال به إلى عوالم الأيديولوجيا و صداماتها، بغية إعطاء "شجرة الدهماء" الشرعيّة في محاكمة المستدمر الفرنسيّ، وبيان مدى عدالة حكمها في مقاضاة الكيان الغريب الدار (فرنسا) ومعاقبته على مجازره المرتكبة في حق الشعب الجزائريّ.

3-2- المدينة المحروسة المحميّة البيضاء: الوطن/ المقدس:

تُعدّ المدينة المحروسة المحمية البيضاء (الجزائر) من أهم المدن السردية التي اهتمّ بها عبد الملك مرتاض، وركز عليها وجعلها في روايته المدينة/ الوطن، وأضفى عليها بعداً أسطوريّاً عجائبيّاً، وأحاطها بهالة من الإيحائية والرمزية، وجعلها مكاناً مقدساً احتضنت أراضها المعارك الضارية والمقاومات الشعبية، وشهدت أعظم الملاحم في التاريخ البشريّ "ومرت الأيام والأسابيع والشهور طوراً ثقالاً، وطوراً آخر عجالاً، وبدأت نيران الثورة تزداد اشتعالاً، وتوسع انتشاراً: شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً، بدأ الكيان الغريب الدار في ردّ فعله متخبطاً. لقد سقط في يده فأمسى حائراً. لقد أصيب بداهية دهياء. أدرك أنّ لا قبل له بها، وأنّ قوته العاتية لم تعد تجديه نفعاً (...). كان الكيان غريب الدار يقتل من الثوار، وكلّ من كان يشكّ في أنّ له علاقة بهم، قتلاً ذريعاً، لقد كان يسعى إلى تحدي التاريخ (...). فكان همه أن يحشد جنده، ويشحذ سلاحه، ويطارد المقاومين تحت كلّ كوكب، وفي أيّ بقعة من أرض المحروسة المحميّة البيضاء... وأما ما كان من أمر آبائكم الثوار يا أولاد، فقد ازداد عددهم، والتهبت شجاعتهم كما لم تلهب قط قبلاً"³²

وبذلك يتدفق السرد على لسان الراوية "الأمّ زينب" إلى الأمام، لتصوير ملحمة وبطولة أبناء المدينة المحروسة الذين تعرضوا للتعذيب والسجن والقتل، والكشف عن الوجه الحقيقيّ للاحتلال الفرنسي الذي مارس أبشع المجازر في حق الشعب الجزائريّ من أجل إيقاف فتيل الثورة، وبتفاقم الظلم والعنف والاضطهاد تتحول المدينة المحروسة إلى أرض للمعارك الضارية والمقاومات، وينفتح فضاؤها على البطولات والتضحيات والكفاح والنضال.

وقد تعالى عبد الملك بمدينة "المحروسة المحميّة البيضاء" عبر بنية النص، وعدّها مكانًا مقدسًا فيه تتجلى هويته وكيّنونته، وعلاقته بهذا المكان بطريقة شاعريّة، حيث أبرز للمتلقّي مدى تعلقه بمعشوقته الجزائر ومحبته لها، مقدّمًا لنا مكانًا سرديًا أسطوريًا عجائبيًا، تسمو فيه الذات وتتعالى بلغة صوفيّة، وتمتدّ عبر مناجاة الثنائيّة الحسناء/ المدينة المحروسة المحميّة البيضاء على لسان الراوية الأمّ زينب « هذه محروستي محبوبتي معشوقتي معزوفتي: أبنائها ما أعظمهم شأنًا، وأكرمهم قدرًا (...) هذه محروستي: الناضرة وجهها الجليلة قدرها الثريّة أرضها؛ فأروني إن ألفتهم لها، في أرجاء الكون كلّ، نظرًا (...) محروستي هي تفانٍ ومحبةٌ وطموحٌ وشموخٌ وشرفٌ وعلمٌ وذوقٌ وتعاونٌ وجمالٌ وجلالٌ وشهامةٌ وكرامةٌ ونصفٌ وعدالةٌ وكبرياءٌ وإيثارٌ (...) محروستي شهاؤها زينة تاريخها المكتوب بحبر التضحيات والدّماء.

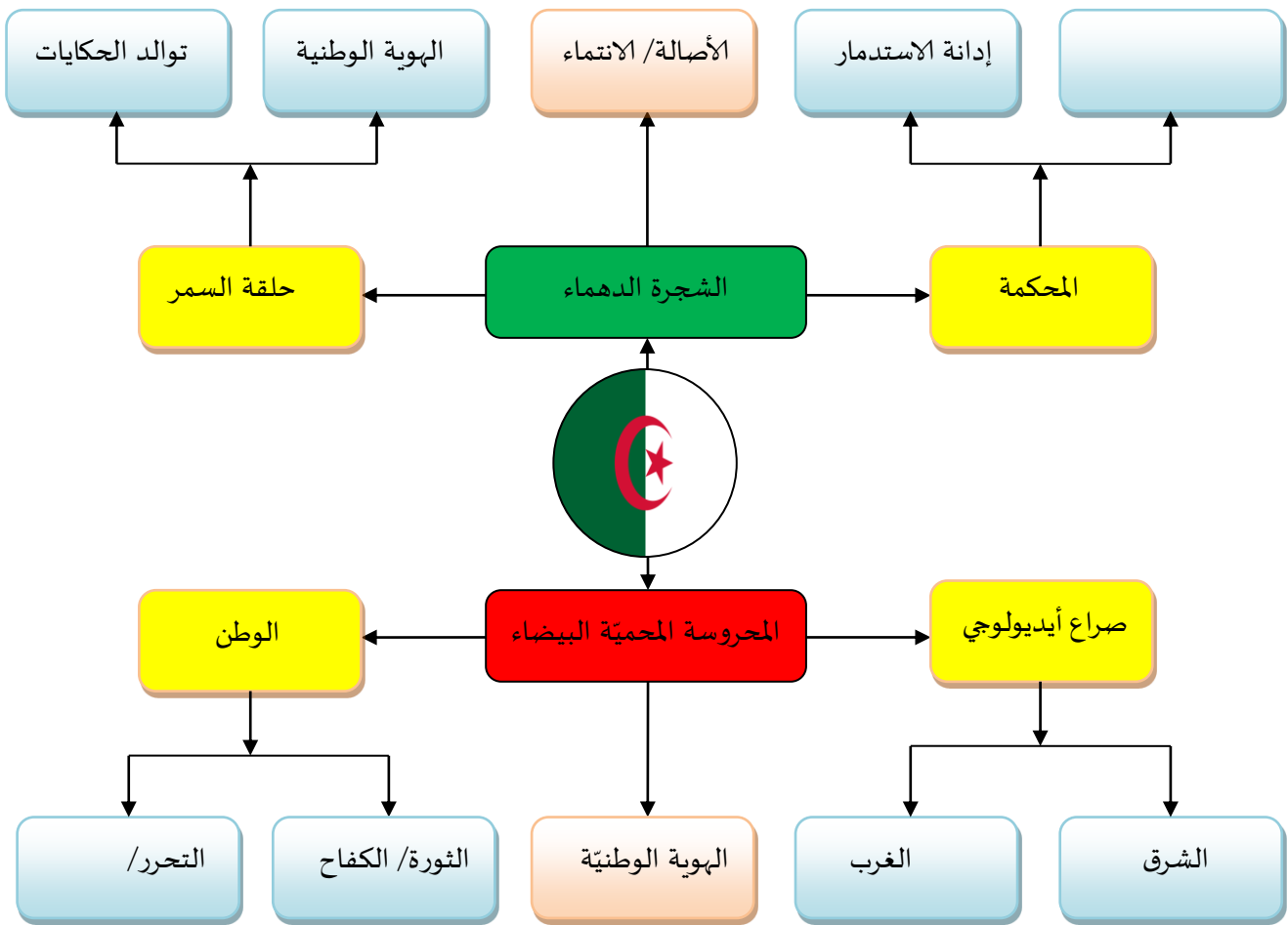
محروستي: رمز إسلاميّتي، عروبي، أمازيغيّتي، إفريقيّتي، وأنتم، وأنا!...»³³

كما نجده قام باستحضار "المحروسة المحميّة البيضاء" محملة بنماذجها وعناصرها الثقافيّة والتاريخيّة، لتجسيد صورتها الإيحائيّة عبر خطيّة السرد، باعتبارها فردوسًا أرضيًا ولوحة فنيّة، تستعاد من خلالها منظومة القيم الدينيّة والوطنيّة، وذلك بالتركيز على القيم البطوليّة والمحميّة لخلق المكان المتعالي والمقدس، من خلال استلهاهم آيات العظمة والجمال الكامنة فيه « محروستي ذي مكسوة بغاباتها الخضراء مزدانة بأشجارها الباسقة الدّهماء. وأنا بكلّ ذلك هيّما... محروستي مذهّبة برمالها الصفراء، الممتدّة في أقاصي الفضاء.

محروستي الخضراء البيضاء، جبالها تعانق السحاب، فتتعلق بأسباب السماء.»³⁴

وفق هذا التصور تنتظم المظاهر الجماليّة لصورة المحروسة المحميّة البيضاء/الجزائر من خلال الطبيعة: الغابات، الأشجار، الصحراء الذهبيّة، الجبال البيضاء، الخضراء الشاهقة، وتتعانق مع الخصب والعطاء والنمو، لتشكيل جغرافيّة المكان وهويته بإكسابه دلالة التجدد والانبعاث من خلال تضحيات الأجداد والآباء بدمائهم.

نستخلص مما سبق أنّ مدينة المحروسة المحميّة البيضاء اتخذت صورة الوطن الجزائر، وكانت رمزًا للأمة العربيّة والإسلاميّة، عن طريق إعادة صياغة التاريخ لإبراز قضية الصراع الأيديولوجي بين الأنا/الآخر، الجزائر/فرنسا، الشرق/الغرب باعتباره قضية تاريخيّة، ومسألة أيديولوجيّة جد خطيرة تهدد كيان الوطن العربي والإسلامي.



خطاطة دلالات الأمكنة: الهوية/ الوطن

1-4- تعريف اللغة:

تعدّ اللغة مقومًا جوهريًا لكيونة الإنسان وهويته، لذا تعددت تعاريفها في بطون الكتب سواء عند القدماء أو المحدثين حيث ركزت كلّ مجموعة على النواحي المهمة فيها، وأبرزتها في المفهوم، ومن أهم هذه التعريفات عند القدماء تعريف ابن الجني بقوله: "حدّ اللغة أصوات يُعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم"³⁵، وقد نال هذا التعريف اهتمام اللغويين العرب، لأنّه يكشف عن الطبيعة الصوتيّة للغة باعتبار الصوت اللغويّ هو الصورة الحية للغة، والطبيعة الاجتماعيّة لها كظاهرة إنسانيّة للتفاهم والتواصل.

أما تعريف اللغة في علم اللغة الحديث يلتقي مع تعريف ابن الجني لها مع إضافة بعض اللمسات للحمولة المفهوميّة، ومن بين هذه التعريفات تعريف اللغويّ دي سوسير "de saussure": "اللغة نظام من الرموز الصوتيّة الاصطلاحيّة في أذهان الجماعة اللغويّة، يُحقق التواصل بينهم، ويكتسبها الفرد سماعًا من جماعته"³⁶، أي أنّ اللغة عبارة عن نسق من الرموز الصوتيّة المتواضع عليها بين أفراد المجتمع الواحد للتواصل فيما بينهم، وتكتسب عن طريق السماع.

4-2- اللغة العربية: السمو/ القداسة:

إنَّ عبد الملك مرتاض لا يقف عند المكان وهويته، وإنَّما يتوغل أكثر ويُعطي للغة العربية الشرعية ويتعالى بها عبر بنية النص، وذلك عن طريق مجموعة من الشخصيات بداية بشخصية سيدنا آدم عليه السلام الذي نسبت إليه هذه اللغة باعتباره: " أول من نطق بالعربية إلهامًا. لا تواضعًا واصطلاحًا. فنحن العرب من هذا الوجه، أولى الأمم بالانتماء إليه، فنحن أبناؤه الشرعيون حقًا"³⁷ ورثنا عنه لغة أهل الجنة. لذا نجد عبد الملك مرتاض يفتخر بعروبته و انتماؤه، و بهويته العربية³⁸، ويرى أنَّ العرب هم سلالة الأنبياء، والأحق بأبوة آدم عليه السلام، من الأمم الأخرى، وهذا نظرًا لأنَّه أول من تكلم العربية و نطق بها إلهامًا و وحيًا من عند الله، دون تواضع ولا اصطلاح من طرف البشر.

و بالتالي فهي لغة مباركة وسامية، حضارية بالدرجة الأولى، لا يشوبها الغموض ولا العبث، وبما أنَّ النبي " آدم كان مقيمًا بالجنة باتفاق، و لغة أهل الجنة، كما ثبت في الآثار الصحيحة هي العربية...فالعربية بذلك نزلت من الجنة مع آدم، و لم ينشأ أعراب بادون محرومون يبجدون بالبراري المقفرة، كما يزعم المؤرخون، فهي أجمل وأشرف من أن تكون سيرتها تلك هي سيرتها."³⁹ باعتبارها لغة متعالية وراقية، شريفة غير منحطة، فريدة من نوعها، نزلت من الجنة مع آدم عليه السلام، ثم انتشرت في بقاع الأرض.

كما نلاحظ أنَّ عبد الملك مرتاض لا يكتفي بذلك بل نجده ينسب العروبة لشخصية إبليس عدو الإنسان اللدود "بل يُقال أيضا: إنَّ إبليس نفسه كان عربيًا. وذلك بحكم أنَّ من تحدث لغة قوم كان منهم بالانتماء"⁴⁰ رغم أنَّه مخلوق من نار ولا علاقة له ببني البشر، ولا بانتمائهم الوطني القومي.

بناء على ما سبق يتبين أنَّ عبد الملك مرتاض حاول التأصيل للغة العربية، والتعالي بها عبر بنية النص باعتبارها لغة القرآن الكريم، وأول لغة تمَّ التحاور والتواصل بها منذ عهد آدم عليه السلام، لذا عدّها مقومًا أساسيًا في بناء الهوية الوطنية.

5- تجليات الأنا والآخر في رواية "الخلاص":

حاول عبد الملك مرتاض في رواية "الخلاص" إبراز الصراع القائم بين الأنا والآخر، و وضعه على طاولة المفاوضات الثنائية، ورأى أنَّ الذات العربية ذات مستلبة ضعيفة، لذا يجب عليها أن تتصف بالقوة، وتعزز هويتها وحضارتها، وتفتخر بقوميتها وانتمائها الوطني وببطولات شهدائها، وهذا ما أضفاه على بعض شخصياته:

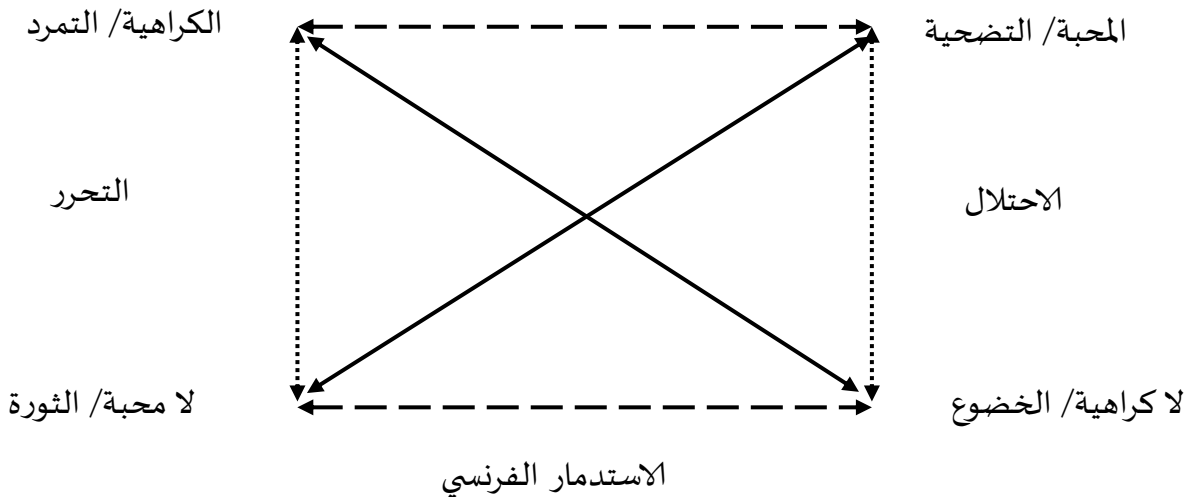
5-1- مصطفى بن بولعيد: تعدّ شخصية مصطفى بن بولعيد من الشخصيات التاريخية الثائرة التي رأت في الاحتلال الفرنسي عدوًا لدودًا، وكيانًا ظالمًا يجب التخلص منه، نظرًا لكثرة جرائمه المرتكبة في حق الشعب الجزائري، من نهب للخيرات، واغتصاب للأرض، إذ أنَّ أبناء وطنه يكدحون ويشقون من أجل الحصول على لقمة العيش، محرومون من التعليم، فيما يتمتع الأوروبيون بخيرات وطنه، ويستغلون الجزائريين في خدمتهم "أيأتون إلى محروستنا الحبيبة، فيحتلوننا عدوًا، ثمَّ يلصقونا بالرغام فيها، حتى أصبحنا أذلة كالفقع بقرقر...إنهم يحتقروننا، يا بشي، ولا يحترمونا، لا نرى لهذا الشأن غير ذلك تفسيرًا. أكاد أقول: إنهم

يمقتوننا... يفعلونه سلوكًا، ولا يعلنونه كلامًا⁴¹، وللهروب من حياة البؤس والحرمان قرر الهجرة إلى الخارج بغية الحصول على حياة أفضل، لكن هناك اصطدم بواقع مرّ.

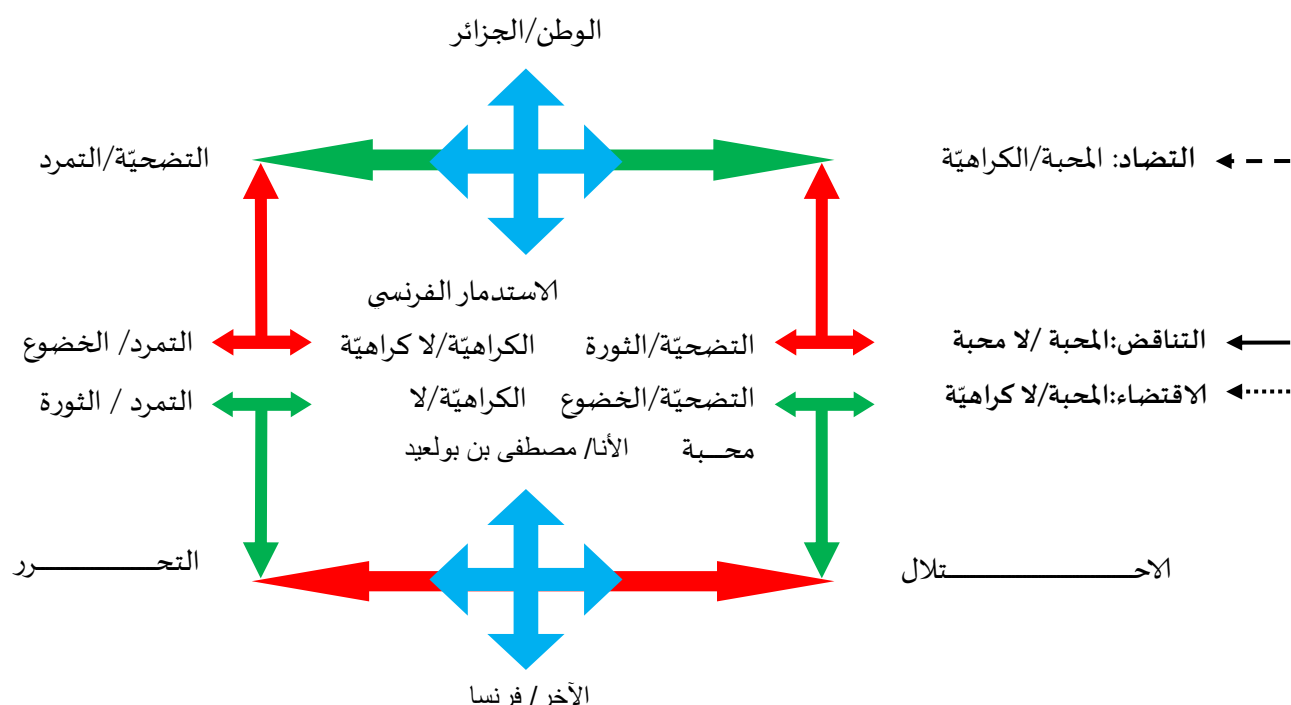
ولاحظ مدى استغلالية الفرنسيين للجالية الجزائرية في أرض المهجر، ومدى تدني المستوى المعيشي لهم "إنّا نحن، يا بشي الأشقون حالاً، على وجه الأرض طراً! كذلك أرى، وقد لا يكون ما أراه إلّا حقاً. حقوقنا ضائعة. كرامتنا مهذرة. مكانتنا منحطة. هناك، كما هنا. فيا حسرتنا! لقد أهدرت حقوقنا السياسية والاجتماعية والثقافية معاً فأمسينا محرومين فإذا نحن لا نملك، أو لا نكاد نملك، من كلّ أمرنا شيئاً. فمتى نخلص مما نحن فيه"⁴².

الأمر الذي جعل هذه الأنا/مصطفى بن بولعيد تزداد كرهاً للاحتلال/ الآخر وتفكر في الخلاص منه وعدم الرضوخ له عن طريق الثورة للقضاء عليه، والتخلص من الظلم والعنصرية والاستعباد، وبالتالي تقرر العودة إلى أرض الوطن للالتحاق بالخدمة العسكرية من أجل اكتساب الخبرة العسكرية، وحين عودتها من الخدمة تخطط هي وأصحابها لتفجير الثورة التحريرية "كان الطموح يفعم وجدان أولئك الشباب فيزيده توهجاً، كان كلّ واحد منهم يحمل في نفسه مشروعاً عظيماً، كان كلّ واحد منهم يبدو رجلاً كبيراً. وقد اتفقوا على أنّها ستكون ثورة عظيمة"⁴³ ولتحقيق هذا الهدف عمل بن بولعيد وأصدقائه على شراء السلاح وتدريب الفدائيين على حمل السلاح وبحلول الأول نوفمبر تمّ تفجير نار الثورة التحريرية، واجتمع الناس حولها واحتضنوها، وبالتالي يتشكل لنا هذا المربع السيمائي المبني على مجموعة من التقابلات المرتبطة مع بعضها البعض وفق علاقات ذات دلالات مختلفة مؤسسة على مبدأ الإثبات والنفي.

الوطن (الجزائر)



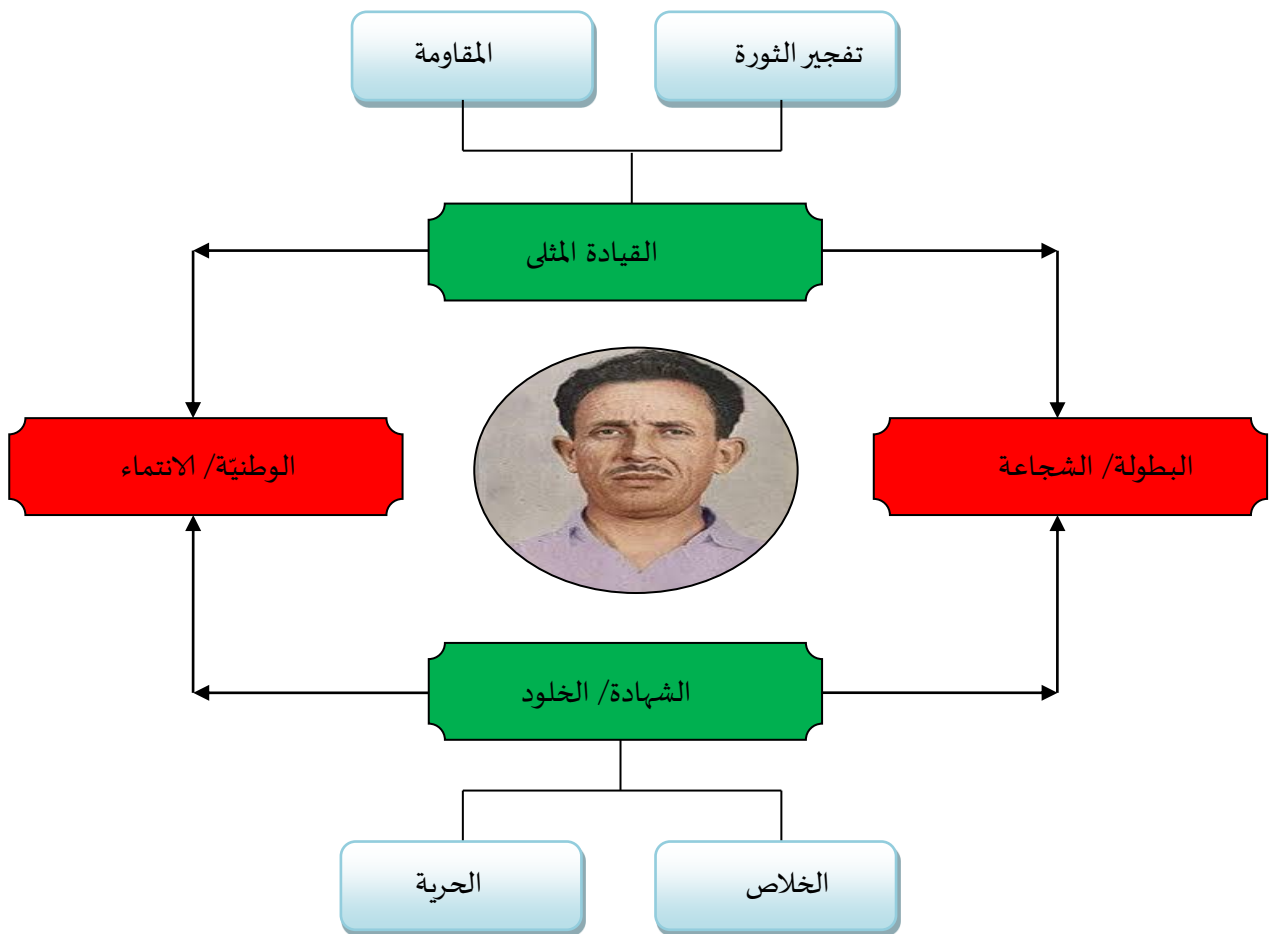
علاقات المربع السيميائي :



وفق هذا المنظور تظهر صورة الآخر (الاستعمار الفرنسي) بصورة الغازي القوي المتفوق والمهيمن على مقاليد السلطة، المتميز بالنزعة الاستعمارية، والتسلط والجبروت، المسيطر على أرض الوطن والمتحكم في ثرواتها وخيراتها، فيما تظهر الأنا في شخص مصطفى بن بولعيد صاحب الشخصية القوية الناقمة على طغيان الاستعمار الفرنسي والحاكمة عليه والكارهة له، المتمردة على قوانينه الجائرة، لأنها ذات أبنية غير خاضعة ولا راضخة لجبروته، تتحلى بالنزعة التحررية المتعطشة إلى الحرية، تتسم بالبطولة والشجاعة والوطنية، والقيادة المثلى، متعالية بكينونتها وهويتها، محبة لوطنها مضحية بمالها ونفسها من أجل تحريره، وتخليصه من براثن الاحتلال الفرنسي وغطرسته، وذلك عن طريق الثورة "كان مصطفى الثائر ثابِتاً عند لقاء الردى، كما كان ثابتاً عند ملاقات الأعداء في ساح الهيجاء... إذ لم يزد على أن ردد بصوت خافت واهن يشتم منه رائحة الموت: الحمد لله حمداً كثيراً، إذ أماتني شهيداً"⁴⁴

وبذلك تنال هذه الأنا درجة الشهادة والحرية وتنتصر على الآخر/الاحتلال الفرنسي، وتتفوق عليه عن طريق زعزعة قوته وجبروته، والنزج به في حرب هوجاء دامية كانت السبب الرئيسي في هزيمته، وبثّ الرعب والخوف في أوساطه، وطرده من أرض الوطن، ولولا هذا التمرد والكراهية الذي ولد الثورة لما نالت الجزائر حريتها ولكانت خاضعة لوطأته حتى للآن.

وقد استطاع مرتاض من خلال استحضار شخصية مصطفى بن بولعيد على لسان الراوية "الأمّ زينب" التعالي ببطولاته، وجعله رمزاً للنضال والتضحية، ومثلاً يحتذى به في البطولة، والإخلاص والوفاء للوطن بغية التأثير في المتلقي، وتغيير وجهة نظره فيما يخص مقومات الهوية الوطنية، والقومية العربية.



وبما أنّ علاقة الأنا مِ البنية الدلالية لشخصية مصطفى بن بولعيد ن شخصيتي يعقوب الباريسي والمهرج الظريف كنموذج للشباب المثقف صاحب الرؤية الازدواجية، لتجسيد الصراع القائم بين الأنا والآخر.

2-5- يعقوب الباريسي: شخصية رئيسية متميزة في قصة الإطار تجسد الذات المستلبة، المتأثرة بكل ما هو غربي معجبة به، متأثرة به تابعة له، نظراً لثقافتها الغربية « كان يعقوب الباريسي لا يرح يتعمد الترطين بلغة الكيان الغريب الدار، ويتعصب لها تعصباً أعمى. ولذلك كان يرى أنّ لغة الفتية، التي ورثوها عن آبائهم وأمهاتهم، ليست على شيء من التطور والرقى الأعلى، فمعرفتها والجهل بها سواء »⁴⁵ فشخصيته تختلف

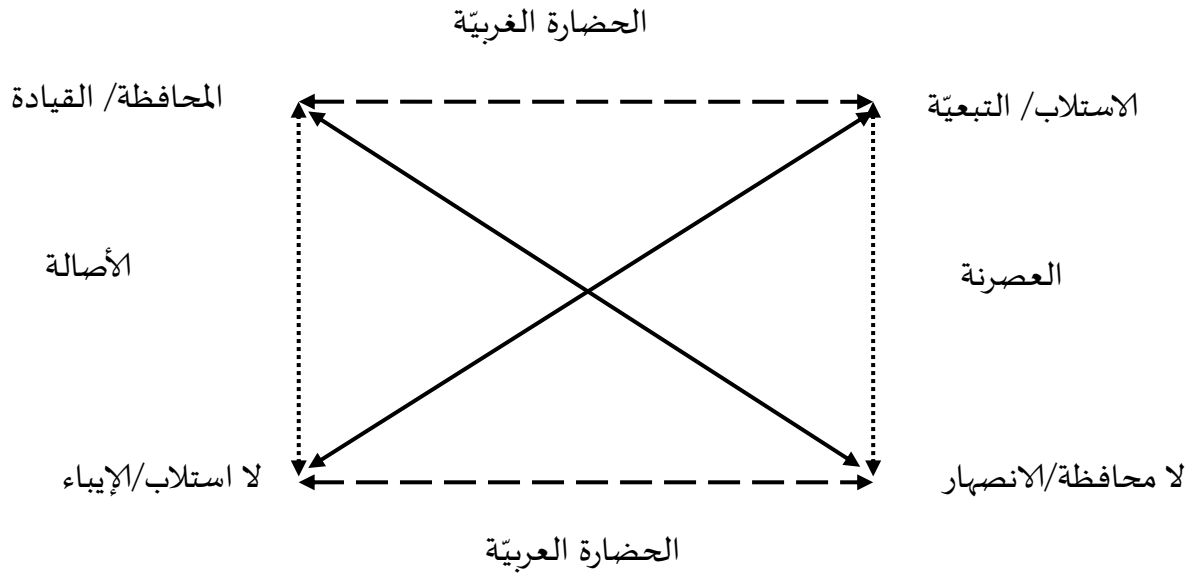
عن الفتية الآخرين، تظهر أنه في صورة شخصية متماهية، مستلبة بالوعي الثقافي الغربي، قلما تبرز شخصيتها الوطنية، لذا نجد هذه الأنا مفتحة على الآخر انفتاحاً تحريراً من ناحيتي: اللغة والثقافة باعتباره رمزاً للحضارة والرقى، والممثل الرئيسي للحدث والعصرنة، وتحتقر كل ما هو وطني.

وظفها عبد الملك مرتاض داخل بنيته النصية كرمز للشباب المثقف المستلب صاحب الشخصية المتزعزعة المتقوقعة « المستعلية بنرجسيتها الفارغة الخالية من القدرة على تسيد ذاتها وإرغام الآخر على الاعتراف بها »⁴⁶، وما إطلاق لقب يعقوب الباريسي عليه إلا أكبر مثال على ذلك، لذا تحاول هذه الأنا عبر بنية السرد إثبات ذاتها، وإبراز حضورها من خلال الآخر باعتباره المتفوق وصانع الحضارة، وذلك عن طريق تقليده من حيث: اللغة والثقافة وغيرها من الأمور، بهدف إثبات مكانتها داخل حلقة السمر وأمام أصدقائها لتكتشف في الأخير هويتها الجزائرية وأصالتها العربية من خلال عالم الحكيم، ويتجلى لها مدى أهمية الوطن وقديسيته.

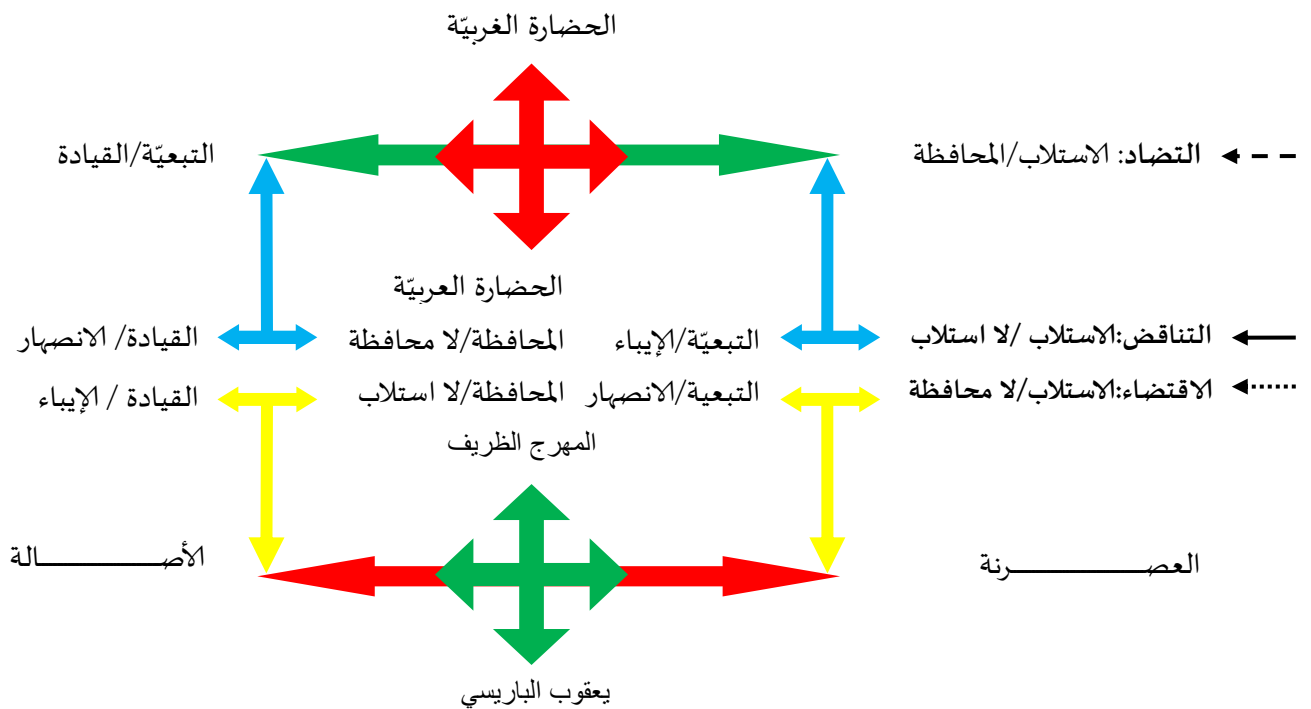
3-5- المهرج الظريف: شخصية متميزة بالمرح والفكاهة، تختلف عن شخصية يعقوب الباريسي تماماً بكونها ذات محبة لهويتها الوطنية، غير مستلبة، محافظة على أصالتها، ذات ثقافة عربية راقية « كان رضوان الأمين أو المهرج الظريف زينة المجلس، ونديمه ومحمضه ومفككه معاً؛ فكان الفتية يستمتعون بالنوادر التي كان يتندر عليهم بها بالإضافة إلى أنه كان نذر نفسه مقتوياً لهم عن طيب خاطر، وسجاجة خلق؛ فكان هو الذي يتولى تحضير الشاي والقهوة (...) كان رضوان الأمين، يدرس اللغة العربية بإحدى الثانويات في مدينة الأبطال السمر »⁴⁷، إذ تؤدي هذه الأنا في الثلاثية دور الشاب الطموح الذي يهتم بمساعدة أصدقائه وإسعادهم والترفيه عنهم، وذلك من خلال نذر نفسه لخدمتهم.

لذا نجد هذه الأنا/ المهرج الظريف صورة للمثقف الجزائري صاحب النخوة العربية الذي يقدر كل ما هو وطني وعربي، ويعتز به باعتباره خريجاً من كلية الآداب بجامعة مدينة الجسور وكان المهرج الظريف حين يمثل مشاهد شبه مسرحية لا يتورع في أن يثلب فيها الكيان الغريب الدار وهو يرطن بلغته، فيحرف نطقها عمداً (...) وكان يرى ذلك ضرباً من التقرب إلى الله تعالى بالعيش في لغة الكيان الغريب الدار الذي لم يتورع عن اضطهاد لغة الأمير في عقردارها، حتى كادت تمسخها مسخاً⁴⁸، استحضره عبد الملك مرتاض كشخصية مناقضة لشخصية يعقوب الباريسي، بهدف نشر جو من الصراع والاختلاف الفكري الثقافي داخل حلقة السمر، بغية إبراز مدى أهمية اللغة العربية والوطن في بناء الهوية الوطنية الجزائرية.

لذا نجده أضفى على هذه الأنا مجموعة من السمات الإيجابية: كالوطنية، خدمة الآخرين ومساعدتهم حسن الفكاهة، فصاحة اللسان، الإيلاء، الفطنة، وجعلها رمزاً للشباب المثقف الوطني الطموح صاحب الثقافة العربية الأصيلة، وبالتالي يمكننا تمثيل المربع السيميائي حسب الشكل الآتي:



علاقات المربع السيميائي:



بناءً على ما سبق نستخلص أنّ عبد الملك مرتاض وظف هاتين الشخصيتين على مستوى السرد لإنتاج ثنائية متضادة يتحرك طرفاها في خطين متوازيين: الشخصية المستلبة/ يعقوب الباريسي الشخصية المحافظة والأصيلة، يعقوب الباريسي/المهرج الظريف، حيث تعمل كلّ شخصية على إلغاء الآخر في المستويين: الفعلي الواقعي، الفكري، إذ عمل كلّ واحد منهما إثبات رؤيته الفكرية والانتصار لها، لكن سرعان ما ينتهي

هذا الجدل والاختلاف، حين يكتشف كلّ من يعقوب الباريسي و المهرج الظريف حقيقة هويتهما، وقيمة وطنهما "الجزائر" لذا يقرران الزواج من بنات مدينتهم.

وقد استطاع عبد الملك مرتاض من خلال هذه الشخصيات المتخيلة إبراز قيمة الوطن، وأهميته بالنسبة للأفراد والجماعة، بجعلها رمزاً للشباب الجزائريّ الوطنيّ المحب لوطنه والغيور عليه المتطلع لنيل العلا.

1-6- دلالة الأنا العربي:

الذات العربية ذات متزعزعة تبحث عن الحرية والسلام والأمن ، لذا "تجد نفسها في بوتقة محاصرة حصاراً ضيقاً يصل إلى حد صعوبة التنفس، تحاول التمرد والخروج على قوانين الأسوار المحيطة بها"³⁶ وهذا ما نلمسه على شخصيات عبد الملك مرتاض خلال المحاكمة الرمزية للكيان غريب الدار (فرنسا) التي أقامها فتيان مدينة الأبطال السمرء برئاسة الشيخ الضير، حيث حاولت كلّ شخصية تقمص دور هيئات وجهات القضاء للدفاع عن طرفي النزاع الذي تنزع إليه:

1- الكيان غريب الدار (فرنسا) 2 - الأجداد الأكرمون (الجزائر)

1-6-1- الإدعاء:

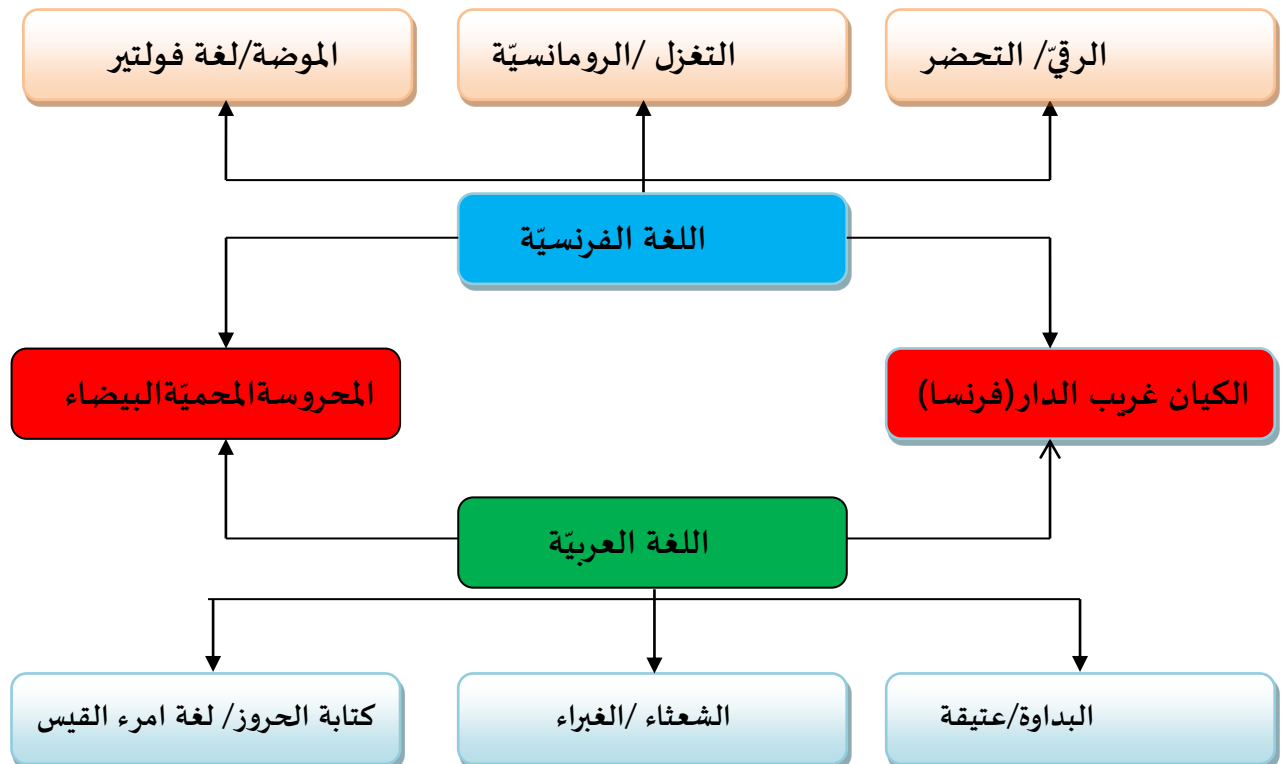
قام به الفتى جبور: وفيه بين بشاعة الاستدمار و فضائع جرائمه المرتكبة في حق الشعب الجزائري "سيدي الرئيس... لقد عمد الكيان الغريب الدار إلى لغتي أبائي وأجدادي فقلص من انتشارها بين المواطنين، وقام في وجه تطورها بإغلاق المدارس إما بقتل معلمها ، وإما بسجنهم واضطهادهم اضطراد شنيعاً بل حاول طمسها من كلّ أصقاع المحروسة المحمية البيضاء، فاستحالت من لغة العلوم والطب و الرياضيات التي كانت يوم احتلنا إلى مجرد لغة ركيكة لكتابة الحروز و تأبين الموتى"⁴⁹، حيث حاولت الأنا /جبور خلال هذه المحاكمة الانتصار لقوميتها وهويتها ولغتها العربية، تلك اللغة التي قام الاستدمار بطمس مقوماتها، لذا نجدها تستشهد بمجموعة من الأدلة و البراهين التي تثبت همجية فرنسا و غطرستها ومدى شرستها في التعامل مع العلماء.

1-6-2- الدفاع:

مثله يعقوب الباريسي، هذه الشخصية المتمردة التي رأت أن "لغة الفتية ، التي ورثوها عن آبائهم وأماهاتهم ليست على شيء من التطور و الرقي الأعلى، فمعرفة والجهل بها سواء! وكان يرى لغتهم غير مثقفة"⁵⁰ ، وقد بينت هذه الأنا العربية (يعقوب الباريسي) بجلاء خلال هذه المرافعة مدى احتقارها للغتها الأم، وسخريتها منها، فهي بالنسبة لها لغة بدائية لا تحمل الرقي و المعرفة عكس لغة الاستدمار التي رأت أنها "لغة الرقي والتحضر والتغزل والموضة والرومانسية... فهي شأن آخر ولا ينبغي للإدعاء أن يقارنها باللغة العتيقة الأولى. اللغة الشعثاء الغبراء التي لا تحمل فلسفة ولا علماً عصرياً فالمقارنة هنا باطلة من أساسها"⁵¹ ، وبالتالي تنسلخ هذه الأنا من لغتها، وتنتصر للغة الاستدمار، لغة فولتير، لغة الرقي و التطور وترى أنها لغة الشعر والجمال و الموضة ، أما اللغة العربية فهي بالنسبة لها لغة عتيقة، بدوية خالية من كلّ إبداع و جمال، وبالتالي تنتصر للآخر وتنجذب إليه وتشعر " بتفوق الغرب وبالعجز العربي"⁵²

وحسب منظور الأنا العربية (يعقوب الباريسي): اللغة الفرنسية لغة التفوق العلمي، أما اللغة العربية فإنّها لغة الضعف، فالأولى صانعة الحضارة والثقافة، والثانية لغة التعاويد و الحروز " وإني أقول لصاحبي الذي ادعى على الكيان الطيب الذكر ما ادعى وأنه دمر اللغة وخنقها و خلفها: لقد ورثتموها في عهد الاستقلال. لغة كتابة حروز، ولغة تأبين موتى، فهلا أبقيتم عليها كما استعدتم إرثها" ⁵³، وبذلك تشتدّ المرافعة بين الدفاع والإدعاء، ويتمسك كلّ واحد من الشخصيتين برأيه، ويصرّ يعقوب الباريسي على مدح اللغة الفرنسية، ويحزن كلّ الحزن على عدم اتخاذها لغة رسميّة "مسكينة أنت يا لغة فولتير إذ آل أمرك إلى من قد لا يحبك ولا يقدر قيمتك العظمى! إنك توشكين أن تزولي من أرض طالما كانت لك فيها صولات وجولات كبرى فلتمسكي بمكانتك فيها كما كنت أمساً فيا عجباً وقد رأينا عجباً، لغة امرئ القيس البدوي المحروم، الأشعث الأغبر...تتبنك لغته في المحروسة وتتمكن" ⁵⁴.

من هذا المنظور يتبين أنّ هناك انصهار كليّ للأنا العربية/ يعقوب الباريسي، إذ تندمج هذه الأنا مع ذات الآخر وتُصبح ذاتاً محبطة، منكسرة، مهزومة، تنعكس صورتها عبر الآخر، وتنشطر أناها بصورة كلية وتبتعد عن كينونتها العربية، فترى أنّ السمو والرفعة كامن في أرجاء الحضارة الغربية العريقة، أما حضارتها العربية فلا ترقى إلى ذلك المستوى، وهذا نظراً لبداوة لغتها، وعناقتها، وركاكتها أمام لغة فولتير (الفرنسية) الراقية و الفريدة، أما شخصية جبور فتحضر أناها العربية المتعالية عبر بنية السرد، وتنصهر مع كينونتها، الذائقة لكلّ ما هو عربي، وبالتالي فإنّ هذه الأنا تتواشج مع هويتها العربية من خلال التمسك بأصالتها العربية، والتأقلم مع واقعها بتجاهل الآخر، وتحمله مسؤولية الجرائم البشعة المرتكبة في حق أبناء وطنها وخاصة العلماء الأمر الذي يجعلها تنفر من الاستدمار وتمقته، وتسعى إلى مقاضاته وتحقيق العدالة لشعبها الجزائري.



خطاطة دلالة اللغة من منظور يعقوب الباريسي

ولإخراج الفتية من بوتقة الاستلاب بالآخر، وهيكله صرح الهوية العربية، عمل عبد الملك مرتاض على استحضار شخصية الراوية "الأم زينب" كرمز للوطن، والتعالي بأنها العربي عبر بنية النص، بجعلها شهرزاد زمانها وذلك عن طريق استلامها زمام الحكّي، وتربيعها حلقة السمر بعد تقبل فتیان مدينة الأبطال السمراء لها، بغية ترسيخ معالم الهوية العربية فيهم، واحتضان رؤاهم الأيديولوجيّة بكلّ اختلافاتها ولا يتحقق ذلك إلا باستحضار بطولات أجدادهم وآبائهم وتضحياتهم الجليلة، ونفض الغبار عن تاريخ بلادهم ووطنهم، ووصل الحاضر بالماضي لاختزال ذلك الصراع الأيديولوجي القائم بين قطبين متناقضين هما: الاستعمار الفرنسي/الشعب الجزائري، الأمر الذي جعلهم ينجذبون إلى هذه القصص الملحميّة ويحضرون كلّ ليلة للاستماع إليها .

ولما كان الاستعمار رمزًا للغرب، والشعب الجزائري رمزًا للعروبة، وجب على الراوية "الأم زينب" تنبيه القراء والوطن العربيّ إلى خطورة هذا الاستعمار، لذا وظف عبد الملك مرتاض هذه الأنا العربيّة التي عملت على التقاط الأحداث والصراعات الأيديولوجيّة وتسجيلها عبر الذاكرة، ثمّ بثّها كحقائق على مسامع الفتیان "وغاية ما أفعل أنّي أمر على المدن والقرى من أرض المحروسة المحميّة البيضاء، فأحكي لفتيانها وفتياتها الحكايات حكايات الآباء والأجداد الأكرمين الألى.

فحرفتي، إذن، أنّي حاكيّة للطوائف، وراوية لأخبار الأقدمين، فأسردها على الفتیان والفتيات أمثالكم»⁵⁵ وذلك عن طريق إسقاط الماضي على الحاضر لتقريب الرؤية لهم، والتعالي بقيمة الوطن وبطولات الجزائريين ونضالهم "محروستي شهداؤها زينة تاريخها المكتوب بحبر التضحيات و الدماء. محروستي: رمز إسلاميّ عروبي، أمازغيّ، إفريقيّ و أنتم و أنا"⁵⁶، محاولة بذلك تسليط الضوء على هذه الصفحات المشرقة وإخراجها إلى النور، لإنارة درب الفتية إلى الطريق الصحيح، وغرس الروح الوطنية والقوميّة فيهم وبيان قيمة الوطن لهم "محروستي أنا، لا إنّما هي هبة و عطاء. إنّما هي شمس و ماء، إنّما هي كائن عظيم من الأرض وهبتناه السماء. محروستي عطرضواع، يعطر كل الأفضية والأرجاء..⁵⁷

وذلك عن طريق التعالي بهوية الأنا الجزائريّة والاعتزاز بانتمائها وعروبته، والانصهار مع المدينة الوطن بغية إثبات وجودها وحضورها، وكيנותها الفاعلة عبر بنية القصّ، ولإشباع فضول الفتية وشغفهم المعرفيّ والارتقاء بقيمة الوطن، وقد كانوا من قبل مجرد فتية منكسرين، يعيشون حياة روتينيّة، لا علاقة لهم بتاريخهم الوطنيّ منفصلين عن ماضيهم العريق.

بناء على ما سبق استطاع عبد الملك مرتاض استيعاب الأنا العربيّة بشتى أبعادها الفكرية والأيديولوجيّة والنفسية، ليعطيّ لنا صورة متكاملة، عميقة، ومعقدة عنها، والتعبير عن أبعاد التجربة، وتصوير مستوى الإنسان العربي صاحب الروح القوميّة المتطلعة إلى الارتقاء بهويتها العربيّة والتخلص من تبعية قوى الشرّ الاستعماريّة، في إطار تمجيد الماضي لبناء الحاضر.

تبرز في رواية "الخلاص" ثنائية أخرى تعكس قطبين متضادين من أقطاب العالم ألا وهي ثنائية:

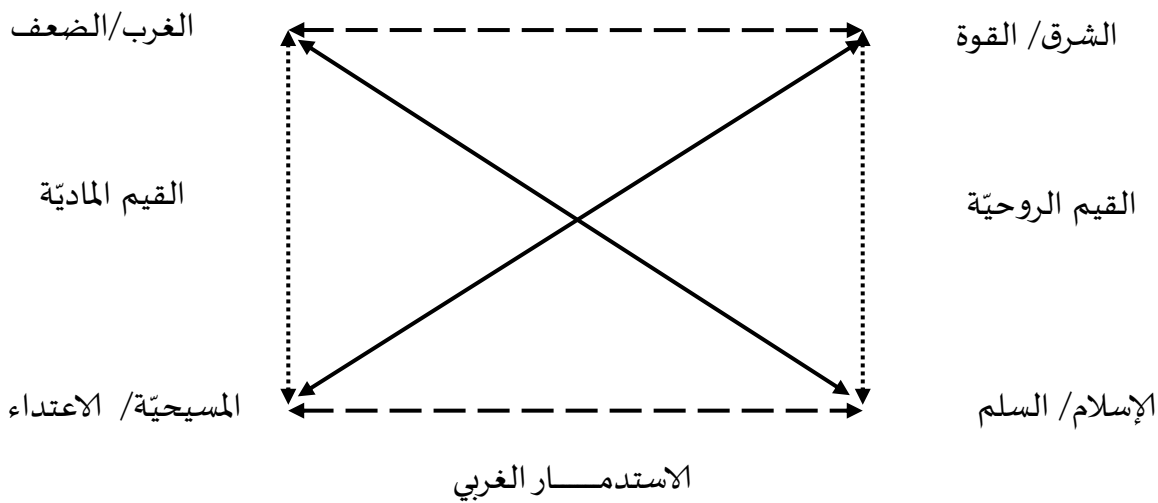
- الشرق - الغرب

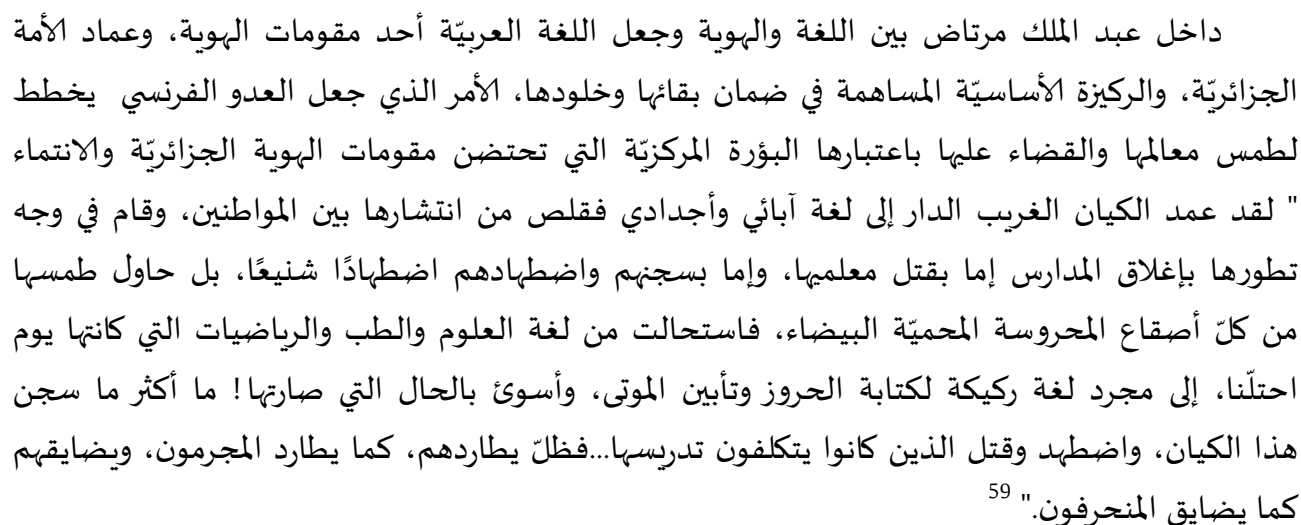
هذه الثنائية التي تتحرك بدنامية عبر خطية السرد لإبراز ذلك الصراع الإيديولوجي المترامي الأطراف بين الاستعمار الغربي المتمثل بفرنسا والشرق الذي تُمثله الجزائر" ولن يزال الغرب يتطو في غطرسته وعدوانه على الشرق الضعيف، إلى أن تتغير أطوار الحضارة يومًا، إنّما القيم الدينية والروحية والأخلاقية أورثها الغرب منا، وتلقاها عنا...المسيحية والإسلام معًا كلاهما لنا، محمد محمدنا، وعيسى عيسانا. فليتواضع الغرب ولا يتعالى علينا. فللغرب القيم المادية ونحن لنا القيم الروحية⁵⁸، تلك القيم التي جعلت من المجاهدين أبطالاً أسطوريين، ومن بين هؤلاء الأبطال مصطفى بن بولعيد الثائر الذي تتعالى ذاته القومية عبر بنية النص، وتثور نخوته العربية ضد هذه الحملات الصليبية المسعورة.

فترى هذه الأنا أنّ الغرب عدو لدود للشرق، وخطره أكبر من نفعه، نظرًا لسيطرته على الجانب المادي والعسكري وامتلاكه زمام القوة والحضارة، أما الشرق فمقدور على أمره ليس بيده حيلة، ضعيف من الناحية العسكرية والمادية، ولكن ورغم كلّ هذا الضعف إلا أنّه يمتلك قوة أعظم ألا وهي قوة الإيمان وسماحة العقيدة الإسلامية، تلك القوة التي لا يمكن قهرها ولا تدميرها، فهي كامنة في داخل الإنسان المسلم تنتظر لحظة صحوته واستيقاظه من سباته، أما الغرب فهو من الناحية الدينية والروحية ضعيف، بعيد عن ربه غير مقرب منه، محب لدنياه مؤمن بسمو قيمه المادية.

انطلاقاً مما سبق نلاحظ أنّ عبد الملك مرتاض شحن شخصية الأنا/ مصطفى بن بولعيد بمجموعة من المقومات الوطنية والدينية: اللغة، الإسلام، القومية، وجعلها شخصية وطنية، ثائرة، فريدة من نوعها رافضة للاستعمار الغربي وغطرسته، مبادرة إلى النضال والتضحية من أجل تحقيق النصر، وتحرير الوطن من براثن الاحتلال الغاشم، وبالتالي يتشكل لنا هذا المربع السيميائي وفق مايلي :

الأمة الإسلامية





من هذا المنظور يتبين أنّ عبد الملك مرتاض قام بإبراز مكانة اللغة العربيّة قبيل مجيء الاحتلال الفرنسي، واعتبرها لغة التطور والعلوم، لكن بقدم الغزو الفرنسي تقلص دورها جراء الحملة الصليبيّة الشرسة المعلنة ضدها وضد المدرسين والعلماء باعتبارهم الحجر الأساسي الذي يُقيم دعائمها، لتصبح فيما بعد مجرد لغة لكتابة الحروز وتأمين الموتى، وبالتالي فقدان سيادتها وسيطرتها الأمر الذي " أفقدهم هويتهم وحرمتهم جنسيّتهم الطبعيّة وألحقهم"⁶⁰ بالجنسيّة الفرنسيّة " التي هي في الأصل لأبنائه مما وراء البحر، لا الآخرين لم تكن في أصلها، كما لم يكونوا لها، أصلاً. وهذه جريمة ترقى إلى مستوى الجرائم في حق الإنسانيّة. فليست الجنسية لعبة صبيانيّة، ولا لقطة تمثليّة تهبط لمن تشاء، وتنزعها ممن تشاء، بل هي رمز مقدس عظيم السمو عميق الدلالة يساوي، في قيم الحرّيّة، الوجود الأعلى. حتمًا"⁶¹.

بناءً على ما سبق يتبين أنّ عبد الملك مرتاض ركز على مكانة اللغة العربيّة قبل الاحتلال باعتبارها أحد مقومات الرقيّ والتقدم، وهذا نظرًا لامتلاك الدولة الجزائريّة كلّ مقومات القوة والسيادة الوطنيّة، وبفقدان هذه المقومات أصبحت اللغة العربيّة ضعيفة بضعف نايطيقيها، الخاضعين لسيطرة المحتل الفرنسي، الذي أيقن بمدى أهميتها بالنسبة للشعب الجزائري، وأنّها السبب الرئيسي وراء فشل حملاته العسكريّة بالتغلغل في أرض الجزائر، لذا حاول طمس هذه اللغة والسيطرة عليها من خلال الترويج للغته، وفرضها على الشعب الجزائري بالقوة، ثمّ تجنيسه من أجل استغلاله والهيمنة عليه، وطمس كلّ مقومات هويته العربيّة والقوميّة.

وبما أنّ اللغة هي السبيل الأمثل للحفاظ على مقومات الهوية الوطنيّة عمل مرتاض على إبراز الدور الفعال الذي قام به الشعب الجزائري من أجل الحفاظ عليها، وذلك عن طريق استحضار شخصية مصطفى بن بولعيد كنموذج حي للخلاص، ببيان مدى قوة روح الجماعة المشاركة في زعزعة الهيمنة الاستعماريّة والتبعية الثقافية، والتعالي ببطولات الشعب الجزائري وتضحياته.

وقد حاول عبد الملك مرتاض من خلال هذه الرواية الدفاع عن الهوية الجزائريّة، برفض الآخر (الاستعمار الفرنسي)، و الدعوة إلى مواجهته وعدم الاستلاب به، وذلك عن طريق التمسك بمقومات الهوية العربيّة، واللغة من أجل الحفاظ على سيادته وأصالته، والانفتاح على الآخر في حدود المعقول.

الخاتمة:

نستخلص مما سبق أنّ مفهوم الدلالة مصطلح لسانيّ تبلور مفهومه عند العرب في خضم الدراسات الأصوليّة واللغويّة والبلاغيّة، أما عند الغرب فنجدّه ارتبط بعلوم البلاغة لينخرط فيما بعد في المناخات المقولاتيّة لحقل السيميائيّات فور انبلاج المناهج النقديّة المعاصرة.

كما استطاع عبد الملك مرتاض في هذه الرواية تسليط الضوء على قضية جد هامة، ألا وهي إشكالية اللغة والهوية، وذلك عن طريق توظيف مجموعة من الأمكنة التي تحيل إلى هوية المكان كشجرة الدهماء التي أضفى عليها البعد التاريخي والحضاري، وربطها بشخص مصطفى بن بولعيد لتجسيد الفكر القومي التحرري، وجعلها بطاقة هوية لمدينة باتنة في جبال الأوراس تتعاقب مع حكاية الوطن الجزائر فيما عدّ مدينة المحروسة المحمية البيضاء مكاناً مقدساً تتجلى فيه صورة الوطن الجزائر، وتستعاد من خلاله منظومة القيم الدينية والوطنية والثقافية، ذلك من خلال التركيز على بطولات أبنائه وتضحياتهم.

أما اللغة العربية فاعتبرها مقومًا أساسيًا في بناء صرح الهوية، ورمزًا من الرموز الوطنية، واللبننة الأساسية المكونة للذات الوطنية، هذه الذات التي يجب الاهتمام بها، وعدم التخلي عنها للآخر، لكونها مقومًا جوهريًا يحوي اللغة، وينمها، ويحافظ عليها من الانقراض والاندثار، فيما يعني عدم الاهتمام بها ضياع اللغة، وطمس الهوية، ومسح مقومات الأمة العربية، وانصهار الذات في الآخر، وتبعية وخضوعها له. وقد استطاع مرتاض إبراز مدى أهمية كل من الهوية واللغة في تكوين وبناء الذات الوطنية تلك الذات الحاملة المتعطشة لكل ما هو وطني و جزائري، المتعلقة بالمكان (الوطن) تعلق انتماء، المتمسكة بثقافتها وعقيدتها الإسلامية، الباحثة عن كينونتها وأصالتها في دهايز التاريخ.

هوامش البحث:

¹ محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، مادة: (دلل) مج: - 05 دارصادر، (بيروت) لبنان، ط 3، 2004، ص: 292.

² - ينظر: منقور عبد الجليل، علم الدلالة وأصوله ومباحثه في التراث العربي، منشورات اتحاد الكتاب، دمشق، د: ط 2001، ص: 30/29.

³ - الشريف الجرجاني: هو علي بن محمد (1339م/1413هـ) متكلم أشعري وفيلسوف، عرف بالسيد الشريف علم في شيراز و سمرقند، وكتب بالفارسية والعربية، له شروح في أصول الفقه والفلسفة والمنطق بالفارسية وعلم الهيئة، التعريفات وشرح مواقف الإيجي، وشرح السراجية للسجاوندي، وله بالفارسية الدرّة، والغرة، رسالتان مشهورتان في المنطق، نقلها إلى العربية ابنه محمد المعروف بابن الشريف (ت: 1434 هـ) وشرح الغرة نجم الدين خضر الرازي (ت 1446 هـ) والصفوى، ينظر: المنجد في اللغة والأعلام، دارالمشرق، بيروت، ط: 45، 2012م، ص: 195.

⁴ فايز الداية، علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق: دراسة تاريخية تأصيلية نقدية، دار الفكر، بيروت (لبنان)، ط: 02، 1996، ص: 08.

⁵ - دلالة النص: وهي المعنى الذي يتبادر إلى الذهن من صيغة النص، وهو الذي قصده الشارع بمن وضع النص لأنّ المشرع حين يضع النص يختار له من الألفاظ والعبارات ما يدلّ دلالة واضحة على غرضه ثم يصوغه بعد ذلك، حيث يتبادر المعنى المقصود من النص إلى ذهن المطلع بمجرد الاطلاع عليه.

دلالة الإشارة: وهي ما يؤخذ من إشارة اللفظ لا من اللفظ، ونعني به ما يتبع اللفظ من غير تجريد قصد إليه، فكما المتكلم قد يفهم بإشارته وحركته في أثناء كلامه ما لا يدلّ عليه نفس اللفظ، فيسمى إشارة فكذلك قد يتبع اللفظ ما لم يقصد وهذا ما يسمى إيماء وإشارة، وهذه الدلالة تستخدم فيها حركات الجسم، والإشارات الموضوعية كعلامات الطرق و النجوم والنيران، إشارات المرور.

دلالة الاقتضاء: هي التي لا يدلّ عليها اللفظ، ولا يكون منطوقاً بها، ولكنها تكون من ضرورة اللفظ

- دلالة العبارة: عبارة عما ثبت بمعنى النص لغة لا اجتهداً، ينظر: منقور عبد الجليل، م س ، ص: 41/35/34 ، و محمود عكاشة الدلالة اللفظية، مكتبة الأنجلو المصرية، د:ط، 2002، ص:15، وأحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان ناشرون (لبنان)، ط:1، 2001، ص: 227

⁶- ينظر منقور عبد الجليل المرجع السابق، ص: 42/41.

* الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد (ت502هـ/1108م) إمام من حكماء العلماء، اشتهر بالتفسير واللغة، سكن بغداد من أثاره " المفردات في غريب القرآن "، و" الذريعة إلى مكارم الشريعة "، و" جامع التفاسير "، و" محاضرات الأدباء "، المنجد في اللغة والأعلام، ص: 259.⁷

⁷ أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: نزار مصطفى الباز، مكتبة نزار مصطفى الباز، دط، دت، ص: 228.

⁸ محمود عكاشة، م س، ص: 08.

⁹ منذر عياشي، اللسانيات والدلالة، دراسات لغوية، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط:1، 1996، ص: 33.

¹⁰ ينظر: فايز الدايدة، علم الدلالة العربي: النظرية والتطبيق، دراسة تاريخية، تأصيلية، نقدية، دار الفكر، دمشق، ط: 2، 1996، ص: 06

¹¹ عبد الجليل منقور، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص: 20.

¹² ينظر: منذر عياشي، م س، ص: 25/24.

¹³ مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط: 1، 1995، ص: 258.

¹⁴ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط: 05، 1998، ص: 11.

¹⁵ عبد الله البردي اللغة هوية ناطقة، المجلة العربية، المملكة العربية، دط، 1434هـ، ص: 20.

¹⁶ زغو محمد أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية جامعة حسية بن بوعلي (الشلف)، العدد: 4، 2010، ص: 94.

¹⁷ عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، سلسلة التنوير الإسلامي، دار النهضة، مصر، ع23، دت، ص: 6.

¹⁸ -نفلة حسن أحمد، "التحليل السيميائي الروائي: دراسة تطبيقية لرواية الزيني بركات، دار الكتب والوثائق القومية الإسكندرية، دط، 2012، ص: 197/198

¹⁹ -عبد الرحمن محمد محمود الجبوري " بناء الرواية عند حسن مطلق: دراسة دلالية، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية، دط، 2012، ص: 63

²⁰ المرجع نفسه، ص: 61.

²¹ محمد صابر عبيد، سوسن البياتي، "جماليات التشكيل الروائي: دراسة في الملحمة الروائية، مدارات الشرق" لنبل سليمان- عالم الكتب الحديث - أريد - الأردن، دط، 2012، ص: 196.

²² المرجع نفسه، ص: 198.

- ²³ عبد الملك مرتاض " ثلاثية الجزائر " تقديم: يوسف و غليسي، منشورات مختبر السرد العربي، جامعة - منتوري- قسنطينة، د:ط، 2012 م ، ص: 469
- ²⁴ المصدر نفسه، ص: 529/528.
- ²⁵ المصدر نفسه، ص: 528.
- ²⁶ المصدر نفسه، ص: 540.
- ²⁷ المصدر نفسه، ص: 543.
- ²⁸ المصدر نفسه ، ص: 578/577.
- ²⁹ المصدر نفسه ، ص: 581.
- ³⁰ المصدر نفسه ، ص: 585 .
- ³¹ المصدر نفسه ص: 592. 593
- ³² المصدر نفسه، ص: 760.
- ³³ م ن، ص: 679/678.
- ³⁴ م ن، ص: 679.
- ³⁵ محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، دط، 2001، ص: 43.
- ³⁶ المرجع نفسه، ص: 44.
- ³⁷ عبد الملك مرتاض ، م س ، ص: 541.
- ³⁸ الهوية العربية: هي كل ما يُمثل العرب المسلمين ويخصّهم ويميزهم عن غيرهم من الشعوب والأقوام و الأجناس " شريف رضا، الهوية العربية الإسلامية وإشكالية العولمة عند الجابري، كنوز الحكمة، الجزائر، د ط ، 1432 هـ/ 2011 ص: 20
- ³⁹ عبد الملك مرتاض، م س ص: 542 .
- ⁴⁰ المصدر نفسه ، ص: 542.
- ⁴¹ عبد المالك مرتاض، ثلاثية الجزائر، ص: 715
- ⁴² - المصدر نفسه، ص: 709.
- ⁴³ المصدر السابق، ص: 740.
- ⁴⁴ المصدر نفسه: ص: 774/773
- ⁴⁵ م ن، ص: 469.
- ⁴⁶ محمد صابر عبيد، جماليات التشكيل الروائي، ص: 78
- ⁴⁷ عبد الملك مرتاض، م س، ص: 517/515.
- ⁴⁸ عبد الملك مرتاض، م ن، ص: 524.
- ⁴⁹ المصدر نفسه، ص: 582.
- ⁵⁰ م ن ، ص: 469
- ⁵¹ المصدر نفسه ص: 588.
- ⁵² محمد صابر عبيد، سوسن البياتي، م س ، ص: 72
- ⁵³ عبد الملك مرتاض، م س ، ص: 589.
- ⁵⁴ م ن ، ص: 590.
- ⁵⁵ عبد الملك مرتاض، م ن، ص: 238

⁵⁶ المصدر نفسه: 679.⁵⁷ المصدر نفسه ، ص: 679.⁵⁸ المصدر نفسه، ص: 706.⁵⁹ المصدر نفسه، ص: 582.⁶⁰ م ن، ص: 583.⁶¹ م ن، ص: 583.

المصادر والمراجع:

1. أحمد مطلوب ، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان ناشرون بيروت، ط:1، 2001
2. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط: 05 ، 1998.
3. أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح:نزار مصطفى الباز، مكتبة نزار مصطفى الباز، دط، دت.
4. شريف رضا، الهوية العربية الإسلامية وإشكالية العولمة عند الجابري، كنوز الحكمة، الجزائر، دط، 1432/ 2011 .
5. عبد الرحمن محمد محمود الجيوري" بناء الرواية عند حسن مطلق: دراسة دلالية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية دط، 2012، ص: 63.
6. عبد الله البردي اللغة هوية ناطقة، المجلة العربية، المملكة العربية، دط، 1434هـ.
7. عبد الملك مرتاض " ثلاثية الجزائر" تقديم: يوسف و غليسي، منشورات مختبر السرد العربي، جامعة -منتوري- قسنطينة، د:ط، 2012م
8. فايز الداية، علم الدلالة العربي النظرية و التطبيق: دراسة تاريخية تأصيلية نقدية، دار الفكر، لبنان، ط: 02، 1996.
9. محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، مادة: (دلل) مج: - 05 دار صادر، (بيروت) لبنان، ط: 3 2004
10. محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، دط، 2001.
11. محمد صابر عبيد، سوسن البياتي، "جماليات التشكيل الروائي: دراسة في الملحمة الروائية، مدارات الشرق" لنبل سليمان- عالم الكتب الحديث - اريد - الأردن، د:ط، 2012 .
12. محمد عمارة ، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية ، سلسلة التنوير الإسلامي ، دار النهضة ، القاهرة ، مصر، ع: 23، دت.
13. محمود عكاشة الدلالة اللفظية ، مكتبة الأنجلو المصرية، د:ط، 2002.
14. مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط: 1، 1995.
15. منذر عياشي ، اللسانيات والدلالة، دراسات لغوية، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط: 1، 1996.
16. منقور عبد الجليل ، علم الدلالة و أصوله و مباحثه في التراث العربي ، منشورات اتحاد الكتاب، دمشق، د:ط 2001 م .
17. المنجد في اللغة و الأعلام، دار المشرق، (بيروت)، لبنان، ط: 45، 2012 م .
18. نفلة حسن أحمد، "التحليل السيميائي الروائي: دراسة تطبيقية لرواية الزيني بركات ، دار الكتب و الوثائق القومية الإسكندرية، د.ط، 2012.

الدوريات:

-
- زغو محمد، أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، العدد: 4، 2010.